

سلسلة تاریخ البابویات بفارکه الفرسی الإسكندری

الحلقة الرابعة
من البطريرك ٨٨ إلى البطريرك ١٠٣
١٤٠٩ - ١٧١٨ م

الشمام
کامل صالح نخلة

مطبوعات دير
السيدة العذراء - السريان

سلسلة تاريخ

الباباوات بطاركة الكرسي الاسكندري

الحلقة الرابعة
من البطريرك ٨٨ إلى البطريرك ١٠٣
(١٤٠٩ - ١٤١٨ م)

جمع المرحوم الشمامس
كامل صالح نخلة الاسكندري
عضو لجنة التاريخ القبطي

حقوق الطبع محفوظة للدير

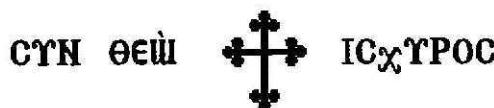
الطبعة الثانية
١٧١٧ - ٢٠٠١ م

تتفقح ومراجعة
الأنسا متاؤس
أسقف دير السريان العامر

سلسلة تاريخ

الباباوات بطاركة الكرسي الاسكندرى

**الحلقة الرابعة
من البطريرك ٨٨ إلى البطريرك ١٠٣
(١٤٠٩ - ١٧١٨ م)**



تصدير

ليس التاريخ مجرد حوادث تسرد وتسجل، ولكنه حياة الماضي ذات الأثر الفعال في المستقبل. هو خبرة الأجيال وعبرة السنين. هو السلم الذي ارتفعت عليه البشرية عاماً بعد عام حتى وصلت إلى درجتها الحالية. لذلك فهو جزء هام من كياننا لا يمكن تجاهله أو تناسيه.

والطبيب لا يمكن أن يصف الدواء إلا إذا اكتشف تاريخ الداء. والمصلح الاجتماعي لا يمكن أن يعالج المشكل إلا إذا استعرض المراحل التي مرّ عليها. وإذا نتف الآن على أبواب عصر يرنو إلى الإصلاح والمجده، ويتحفز للرقى والنهوض، فما أحوجنا إلى دراسة تاريخنا كامة وكنيسة لنسقري من ثواباً للحوادث عوامل الصحو والرفة فترجع إليها، وأسباب العترة والانهيار فنزيلها وتنقيها، وبذلك نبني آمالنا على أساس عملية مدرورة تستلهم روح الآباء وتسير على ثير لهم. معتمدة على قوة السماء التي سيجت حول كنيستنا على مر الأجيال حافظت عليها في أحلال الأيام، لتبيّنها شاهداً أميناً يخبر بقوة رب وخلاصه العجيب.

له المجد الدائم إلى الأبد أمين،

ببر السريان

+++++

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد أمين
مقدمة الطبعة الثانية
لكتاب سلسلة تاريخ الباباوات بطاركة الكرسي الإسكندرى

في الفترة من ١٩٥١ - ١٩٥٤ أصدر دير السيدة العذراء - السريان - العامر خمس حلقات من سلسلة تاريخ الباباوات بطاركة الكرسي الإسكندرى، ابتداء من البابا كيرلس الثالث البطريرك ٧٥ إلى البابا ديمتريوس الثاني البطريرك ١١١.

ونفذت هذه الطبعات من زمن بعيد.

ويشجع من بعض محبي التاريخ القبطي نعيد الآن تقديم هذه الحلقات في طبعة ثانية منقحة حتى يستفيد منها أبناء الكنيسة ويعرفون شيئاً عن تاريخ كنيستهم العريقة.

وهذه الحلقات الخمس كما وردت في الطبعة الأولى هي:
الحلقة الأولى: تاريخ الكنيسة القبطية في عهد البابا كيرلس الثالث البطريرك الخامس والسبعين

الحلقة الثانية: تاريخ الكنيسة القبطية في عهد الباباوات من البابا أثناسيوس الثالث البطريرك السادس والسبعون إلى البابا غبرיאל الرابع البطريرك السادس والثمانون.

الحلقة الثالثة: تاريخ الكنيسة القبطية في عهد البابا متأوس الأول البطريرك السابع والثمانون

الحلقة الرابعة: تاريخ الكنيسة القبطية في عهد الباباوات من البابا غبرائيل الخامس البطريرك الثامن والثمانون إلى البابا يؤانس السادس عشر البطريرك المائة والثالث

الحلقة الخامسة: تاريخ الكنيسة القبطية في عهد الباباوات من البابا بطرس السادس البطريرك المائة والرابع

إلى البابا ديمتريوس الثاني البطريرك المائة والحادي عشر

وستكمل هذه الحلقات بكتاب قيم للمؤرخ الكبير المتخرج القمص صموئيل تاوضروس السرياني كان قد أصدره سنة ١٩٧٧ عن تاريخ الكنيسة القبطية في

تعهد للباباوات من البابا بطرس السادس (الجاولى) البطريرك المائة والتاسع إلى
البابا كيرلس السادس البطريرك المائة والسادس عشر.

ونحتاج إلى صلوات كثيرة حتى نستطيع أن نكمل هذا العمل الضخم من أجل
الحفاظ على تاريخ كنيستنا المجيدة الذي هو جزء من تاريخ مصرنا الحبيبة. التي
نطلب السلام لكل ربوعها والتقدم والرخاء لكل جموعها.

نرجو أن تكون هذه الحلقات المتتابعة سبب بركة لكل من يقرأها، ويصدق
عليه تول الشاعر.

من حوى التاريخ في صدره .. أضاف أعماراً على عمره.

الله يعيننا بشفاعة أمنا الطاهرة القديسة مريم وصلوات آياتنا البطاركة
العظيم الذين ورثت أسماؤهم وسيرهم في هذه الحلقات والذين قادوا الكنيسة بحكمة
كل هذه السنين الطوال التي تصل إلى سبعة قرون ونصف.

وببركة وصلوات أبينا المكرم البابا الأنبا شنوده الثالث بطريرك هذا
الزمان. أطل الله حياته.

ونعمـة الرب تشملـنا جميعـا آمين..

الأَنْبِيَا مَنَاؤُس

أسقف دير السريان العamer

صوم الرسل الأطهار يونيه ٢٠٠١

مُصادر الكتاب

أولاً. المخطوطات:

- (١) تاريخ البطاركة لاسقف فوه بمكتبة دير السريان ومكتبة العلامة جرجس فيلوثاوس عوض.
- (٢) كتاب تاريخ البطاركة رقم ١٥ تاريخ بمكتبة الدار البطريركية.
- (٣) كتاب تاريخ البطاركة رقم ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٦، ٢٨٦ طقس بمكتبة الدار البطريركية.
- (٤) كتاب الابقى (فصل جدول البطاركة) للأسعد بن العسال بمكتبة الدار البطريركية رقم ١ متوعة.
- (٥) كتاب التواریخ لابی شاکر بن الراهب بمكتبة العلامة جرجس فيلوثاوس عوض.
- (٦) كتاب مصباح الظلمة في ايضاح الخدمة (فصل جدول البطاركة) لابن كبر بمكتبة العلامة جرجس فيلوثاوس عوض.
- (٧) كتاب رقم ٢٩١ لاهوت مکاتبات کیرلس بن لقق بمكتبة الدار البطريركية.
- (٨) كتاب ٤٧ تاريخ بمكتبة الدار البطريركية.
- (٩) كتاب الاسفار رقم ٥٠ مقدسة بمكتبة الدار البطريركية.
- (١٠) كتاب البصخة رقم ٣١٢ طقس بمكتبة الدار البطريركية.
- (١١) قطمارس شهر طوبه رقم ١٣-٥٥ طقس بمكتبة كنيسة العذراء بحارة زويله.
- (١٢) قطمارس شهر بؤونة رقم ١٥-٥٧ طقس بمكتبة كنيسة العذراء بحارة زويله.
- (١٣) سنسكار رقم ٤٥ (أ) بالمتحف القبطي.
- (١٤) كتاب رقم ١٢٨ طقس تاريخ عمل الميرون وظهور أعيوبتين بالمتحف القبطي.
- (١٥) كتاب رقم ٢٣٠ لاهوت بمكتبة الدار البطريركية.
- (١٦) كتاب رقم ٣٨٩ طقس بمكتبة دير القديس أنطونيوس.
- (١٧) سنسكار رقم ٣٤٣ طقس بمكتبة دير القديس أنطونيوس.
- (١٨) سنسكار رقم ٢٣٦ طقس بمكتبة دير القديس أنطونيوس.

ثانياً. المطبوعات:

- (١) تاريخ الأمة القبطية ليعقوب بك نخله روبيه..
- (٢) تاريخ الكنيسة للقمح منسى يوحنا.
- (٣) الخريدة النفيضة في تاريخ الكنيسة للأسقف ايسونوروس.
- (٤) كتاب تقويم تواريخ الأزمنة المسيحية في مصر واثيوبيا للعلامة (شن).
- (٥) التوفيقات الإلهامية للواء مختار باشا طبع مصر سنة ١٨٨٩ م.
- (٦) المخطوطات العربية لكتبة الصرانية جمع الآب لويس شيخو اليسوعي.
- (٧) قاموس لاروس القرن العشرين.
- (٨) كتاب التبر المسبوك في ذكر السلوك للشيخ السخاوي طبع بولاق سنة ١٨٩٦ م.
- (٩) تاريخ وجداول بطاركة الكرسي تأليف الشمامس كامل صالح نخله.
- (١٠) تاريخ الأمة القبطية تأليف مسر ببشر.

ملحوظة:

ترقيم المخطوطات بالورقة وليس بالصفحة. فالورقة ترقم واحد ويعطى نفس الرقم للوجه والظهر. وعند ذكر مراجع كل مخطوطة سنضع الرقم بمفرده للوجه .الرقم مفروناً بـ (أ) للظهر.

البابا غريغوريوس الخامس

(البطيريك ٨٨)

١. نبوة البابا متأوس عن خليفته في البطيريكية

لما تبىخ البابا متأوس الأول البطيريك (٨٧) ظل الكرسي بعده خاليًا مدة ثلاثة أشهر وعشرين يوماً. وقد كان قبل انتقاله من هذا العالم تنبأ أنه سيكون الأب غريغوريوس الخامس القلمون بالفيوم سيكون البطيريك الذي يتبوأ العرش المرقسى بعده (كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٩٦^١).^١

٢. تحقيق نبوة متأوس الأول

ولما لجتمع مجمع الأساقفة وأراخنة الشعب بعد نهاية البابا متأوس بثicksنحو ثلاثة أشهر ونصف لإنتخاب خليفته على الكرسي البطيريكى فتذكروا نبوة هذا البابا ورشحوا الراهب غريغوريوس الخامس ليكون بطيريكًا على الكرامة المرقسية فرسموه بطيريكًا في يوم ٢٦ برموده سنة ١١٢٥ASH الموافق ٢١ أبريل سنة ١٤٠٩م. في أيام سلطة الملك فرج بن برقوق (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣٢٩٦^٢ وفوه من ١٨٣^٣).^٢

٣. البطيريك غريغوريوس الخامس

تبأ العرش البطيريكى البابا غريغوريوس الخامس وكان يلقب بمستوفى الجزاير وعرف باسم غريغوريوس الأجلد وكان قبل رهيبته موظفاً في الحكومة المصرية واعتزل الخدمة وترهب (فوه ص ١٨٣^٤).^٤

٤. فراغ خزانة البطيريكية

وفي مدة رئاسة البابا غريغوريوس الخامس فرغت الخزانة البطيريكية من المال وصار يعتمد البابا في الحصول على قوته الضروري على مساعدة أولاده الأراخنة وكانت الكنيسة الحبشية ترسل إعانة سنوية للكنيسة المرقسية فقطعتها في عهد هذا البابا. وتحمل قداسته كل هذا بصبر وتواضع وصار يحمد الله على كل حال.

٥. رسامة بطيريك أنطاكى في مصر

وقد قدم في أيام هذا البابا من أورشليم أحد رجال الكهنوت الأنطاكي اسمه مار باسيليوس بهنام لرسامته بطيريكًا على المدينة المحبة لله أنطاكية. فقام بطيريك غريغوريوس الخامس بعدد مجمع تقرر فيه تكليف الآباء الأساقفة أنبا ميخائيل أسقف سمنود المعروف بالغمرى وأنبا غريغوريوس أسقف أسيوط الشهير بابن كاتب القوصية

الذى كان رئيساً لدير أبي مقار وأبا كيرلس السريانى مطران القدس المعروف
بـلين نيشان والقس الأسعد أبو الفرج كاهن بيعة القديس مرقوريوس أبي سيفين
بمصر القديمة الذى صار بطريركاً بعد البابا غيريال الخامس، بالقيام بهذه
الرسامة.

قام هؤلاء الآباء بتكرير مار باسيليوس فى بيعة القديس مرقوريوس أبي
سيفين بدر البحر بمصر المحروسة فى سنة ١٣٨١ ش الموافقة لسنة ١٤١٢ م
وقام القس أرميا بقراءة أواشى البطريركية جميعها وتمت رسامة البطريرك باسم
أغناطيوس التاسع أو أغناطيوس يهنام الأول البطريرك (٨٢) فى العدد من
بطاركة السريان وهو باسيلي بهنام مفريان المشرف وقد رشحه للبطريركية مجمع
دير الزعفران ورسم بوضع يد ديسقورس بهنام شتى مطران دير ملكى وتمت
رسامته فى الديار المصرية كما تقدم وبعد إتمام رسامة البطريرك الانطاكي فى
مصر سافر إلى أورشليم بعد أن زوده البابا غيريال الخامس بكل ما يحتاج إليه
السفر حتى الدابة التى برسم ركوبه إلى بلاده. وقد قام بتوزيعه لفيف من الكهنة
وأكابر الراخنة حتى وصلوا به إلى المطربة (كتاب ٢٨٦ طقس بالدار
البطريركية ص ١٥٠ و٣٩٠ وشين ص ٢٥٦ والجريدة الفنية ص ٤٥٠ جزء
ثان).

٦. بساطة معيشة البابا غيريال

وكان البابا غيريال لا يستعمل الركوبة فى تنقلاته بل كان ينتقل من مكان إلى آخر بالسير على قدميه وكانت كل معيشته فى غاية التقشف والبساطة رغم ما كان
يقاسيه من الإضطهد الشديد.

٧. تكليفه بنزع الاحباش من مضائق التجارة المسلمين

وكان فى عهده يلقى التجار المسلمين فى بلاد الاحباش معاملة سيئة فدعنه
الحكومة المصرية فى سنة ١٤١٨ م ولما مثل أمام مجلس الحكومة هدد بالموت
إذا لم يمنع الاحباش الذين تحت سلطته من مضائق التجارة المسلمين النازلين فى
بلادهم فوعدهم بالاتصال بملك الاحباش ليمنع هذه المعاملة.

٨. قيامه باصلاح ما أفسنته بد الاضطهاد

ورغم ما قاساه هذا للبابا الوديع من الإضطهاد الشديد مدة رئاسته فإنه بذل مجاهداً كبيراً في سبيل اصلاح ما أفسنته بد الاضطهاد والمحافظة على شعبه من قسوة رجال الحكومة.

٩. مؤلفات البابا غبريل الخامس

ورغم الاضطهاد الشديد الذي كان محاطاً به فلم يتأخر قداسة البابا عن القيل بواجباته الثقافية والتعليمية الدينية فوضع كتاباً في الطقوس الكنسية.

١٠. انتقال البابا من هذا العالم

واستمر البابا غبريل الخامس في الرئاسة مدة سبعة عشر سنة وثمانية شهور، وأثنا عشر يوماً وتنتهي في يوم ٨ طوبه سنة ١٤٤٣ الموافق ٣ يناير سنة ١٤٢٧م في أيام السلطان أبو نصر الاشرف ودفن بإكرام في بيعة بابلون الدرج وخلي الكرسي بعده مدة أربعة أشهر وثمانية أيام (كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٩٦ وفوه ص ١٨٣).

البابا يوأنس الحادى عشر

البطريك (٨٩)

مقدمة التاريخ

لم يذكر ذيل كتابي تاريخ البطاركة لساويرس بن المقعد اسقف الاشمونيين ويولس اسقف فوه وكذا ذيول جداول بطاركة الكرسي الاسكندرى لابن العسال وابن الراهب وابن كبر شيئاً عن البابا يوأنس الحادى عشر فى الاسم التاسع والثمانين فى العدد واقتصرت جميع هذه المصادر على ذكر تاريخ تقدمته وتاريخ تناحته ومدة اقامته على الكرسي ولكننى عثرت في كتاب "التبر المسبوك فى ذيل السلوك" لمؤلفه الشيخ السخاوى المطبوع بمطبعة بولاق الاميرية فى سنة ١٨٩٦م على أخبار هامة وحوادث عامة وقعت فى أيام بطريقية هذا البابا تساعد على وضع تاريخ مفصل لسيرته.

وقد أطلق السخاوى فى تاريخه على هذا البابا تارة اسم مؤنس بطريقك النصارى البغدادية (ص ٣٩) وتورأً اسم فرج العقوبى النصرانى بطريقك النصارى (ص ٤٠٩).

فاسم فرج هو الاسم الذى كان يحمله هذا البابا قبل اختياره للبطاريركية وأسم مؤنس فيو اسم بعد البطاريركية محرفاً من اسم يوانس واشتهر هذا البابا باسم يوانس المقسى نسبة لموطنه المقس بضواحي القاهرة (فوه ص ١٨٣) ومحالها الآن بقرب جامع أولاد عنان بباب الحديد.

١. اختباره للبطارير كبة

بعد انتقال البابا غريغوري الخامس للبطريرك (٨٨) الشهير بمستوفى الججزة في ٩ طوبه سنة ١٤٣١ش الموافق ٣ يناير سنة ١٤٢٧م ظل الكرسي شاغراً مدة أربعة أشهر وثمانية أيام ثم اجتمع المجمع المقدس واختار بالاتفاق مع الاراذنة القس الأسعد أبو الفرج خادم بيعة مرقوريوس أبي سيفين بدرب البحر بفسطاط مصر الشهير باسم فرج المقدس وأقاموه بطريركا في يوم الأحد الموافق ١٦ بشتى سنة ١٤٣١ش (١١ مايو سنة ١٤٢٧م) باسم البابا يوأنس الحادى عشر البطريرك (٨٩) في عهد سلطنة الملك الأشرف برسباى من دولة المماليك وخلقة المعتصد الثالث داود أبي الفتح بن المتوكل العباسي. وقد كان الاختيار والرسامة بجماع عالم من علماء القبط وأكابرهم (كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٩٦^١ وفوه ص ١٨٣^٢)

٢. أهم حوادث البلاد في عهد

تولى الملك الأشرف عرش المملكة المصرية في ٨ ربيع آخر سنة ٥٨٢٥هـ الموافق أول أبريل سنة ١٤٢٢م وحصلت زلزلة بمصر في سنة ١٤٢٤م ثم توقف النيل بعد الوفاء وهبط سريعاً في سنة ١٤٢٩م فشرقت البلاد ووقع الغلاء وظهر الوباء ومات الخليفة المستعين بالله أبو الفضل. وفي سنة ١٤٣١م (٥٨٣٤هـ) حرر على الباعة أن يتعاملوا بالعملة الأجنبية وحتم عليهم التعامل بالنقد الأشرفية (التوقيفات الالهامية).

وفي يوم ٨ يونيو سنة ١٤٣٨هـ (١٣ ذي الحجة سنة ١٩٤١) توفي الملك الأشرف بعد أن حكم مدة سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وستة أيام وكانت مصر في أيامه سعيدة داخلاً وخارجًا (تاريخ مصر الحديث لجورجي زيدان).

وبعد وفاة الأشرف تربع على سرير الملك ابن الأشرف المدعو جمال الدين يوسف ولقب بالملك العزيز وفي أيامه انتشر في مصر في سنة ٥٨٤٢ هـ (١٤٣٨م) وباء شديد وفي يوم ١٩ ربيع أول سنة ٥٨٤٢ هـ (٩ أكتوبر سنة ١٤٣٩) مات الملك العزيز.

(٤٣٨م) عزل الملك العزيز وبوضع أتابك جيشه سيف الدين جقمق ولقب بـ **الملك الظاهر (التوفيقات الالهامية)**.

ثم توفي الامام المعتصد الثالث في ٤ ربيع أول سنة ١٤٤٦ هـ الموافق ١٢ يوليه سنة ١٤٤٢م وأوصى قبل وفاته أن تكون الخلافة بعده لأخيه فباعوه ولقبوه بالمستكفي بالله الثالث العباسى. وكان صديقاً للسلطان جقمق. وفي هذه السنة تعصب العبيد في بر الجيزة وأقاموا لهم ملطاً ووزراء فصار القبض عليهم وبيعهم في المملكة العثمانية (التوفيقات الالهامية).

وفي سنة ١٤٤٩م غلت الأسعار حتى وصل سعر الاردب من القمح خمس أشرفيات ثم تناهى إلى سبعة وغلا كل شيء وارتقت أسعار البضائع حتى بيع رطل الخبز نصفين واستمر هذا الغلاء مدة سنتين نال الشعب أثائها أقصى الأحوال وأقطع المجاعات.

ثم في أثناء كارثة الغلاء نشى وباء الطاعون في مستهلها في البلاد وازدادت وطأته ثم خفت إصابته في أيام خماسين المسيحيين (السخاوي ص ٢٤٥).

وزاد البلاء في البلاد عندما وقف النيل في سنة ١٤٥٠م عن الوفاء فضج الناس وشحت الغلات من الساحل واشتد قلق العالم ووقع الغلاء وبلغ سعر القمح سبعة دنانير لكل أردب. وفي هذه السنة توفي الخليفة المستكفي وبوضع أخيه ولقب بالقائم بأمر الله العباسى ولم يكن على وفاق مع السلطان كما كان عليه سلفاؤه لانه كان يطمع في السلطنة لتحقيق مآربه (مصر الحديثة والتوفيقات الالهامية).

٣. أهم حوادث البيعة واخبارها

(١) زيارة بطريرك أنطاكية بطريرك الإسكندرية

ولما جلس البابا يوانس الحادى عشر على الكرسى المرقسى حضر بطريرك مار باسيليوس بهنام المعروف باسم أغناطيوس التاسع بطريرك أنطاكية إلى الديار المصرية في سنة ١٤٦١ش الموافقة لسنة ٤٣٠م للقيام بتهنئة البابا على اعتلائه الكرسى المرقسى لسابق المعرفة به عند رسامة هذا بطريرك الأنطاكي في مصر. فلاحتفى البابا يوانس بمقمه وأكرم وفاته وشاركا معاً في الخدمة الكهنوتية وفرحت البيعة وكل الشعب الارثوذكسي بمحروستى مصر والقاهرة.

(ب) طبخ المiron المقدس للكرسي الانطاكي

وبعد أن استراح البطريرك السريانى الانطاكي احاط البابا الاسكتندرى علمًا بأن المiron المقدس قد نفذ من كرسيه وأنه ليس عنده خميرة ليطبخ بها المiron المقدس وأنه حضر خصيصاً إلى الديار المصرية لطبخه.

ثم توجه مارباسيليوس إلى بيت كاهن مبارك سريانى الجنس يعقوبى المذهب يسمى القس يوحنا بن العشير وسكن فى حارة النصارى بسوقية صفية بالقاهرة المحروسة وكانت زوجة هذا القس قد تبخت وأصبح أرملًا. فاستخار مارباسيليوس خزانة فى بيت هذا القس وفنسها. وكان بصحبة هذا البطريرك ماركيرلس مطران أورشليم المعروف بابن تيشان واجتمع عنده قسس السريان ولم يحضر معه قس من جماعة المصريين لأن مرض الطاعون كان منتشرًا في المدينتين ومات أولاد الناس جميعهم والتى أطلق على ذلك الموتى ولم يفرج الأب لولده ولا ابن لوالده من كثرة الاموات.

ثم وجه البطريرك مارباسيليوس اهتمامه بحوائج المironون وانتقل إلى كنيسة السيدة العذراء بالمعلقة وأودعه بداخل المذبح فوق العرش وكان بصحبته المطران والكهنة السريان واحتفل البطريرك بـكان الاسكتندرى والانطاكي بعيد الشعائين المجيد وأقام الجميع بالقلالية البطريركية مستمرين في إقامة صلوات جمعة الآلام إلى باكر يوم الخميس العظيم وأكملوا صنع المiron المقدس.

وبعد ذلك أقام مارباسيليوس في محروستى مصر والقاهرة إلى شهر مارس ثم استأنف للسفر وودع البابا يوانس وتوجه وصحبته المironون المقدس إلى مدينة الله أورشليم المقدسة وتوجه لتوريده للمطربة بعض الكهنة والاراخنة وزودهم بالبركة وزوده كل منهم بما وصلت إليه قدرته وتوجه بسلامة الله وعادوا هم أيضًا إلى مساكنهم شاكرين الله (كتاب رقم ١٠١ طقس ص ١٢ و ١٣).

(ج) عادة القبط في أول الصيف

اعتاد القبط من قديم الزمان أن يلبسو البياض في الصيف عند الأسبوع الأول من شهر بشنس في كل عام وكانت هذه العادة متأصلة عند مواطنיהם المسلمين ورجال الدولة ولكن في شهر ذو الحجة من سنة ٨٤٥ (برمودة سنة ١٥٨ اش) اشتد الحر في يوم ١١ منه فلبس السلطان الظاهر البياض في السابع عشر من

برموده سنة ١٥٨١ش (٢٢ أبريل سنة ١٤٤٢م) فتقدم قبل عادة القبط بعشرين يوماً (السخاوي ص ٢٠).

(د) الكشف على كنائس النصارى واليهود

قام للشيخ الامير الاقصرانى من مشايخ الاسلام فى شهر ذى الحجة سنة ١٤٤٥هـ (أبريل سنة ١٤٤١م) بكشف كنائس اليهود والنصارى بتتبيه السيد شهاد الدين لحمد النعمانى المصرى فابلطت عدة كنائس وختم على أبوابها إلى أن يتضخم أمرها. منها واحدة للملكين وجد فيها دعائم بالحجر الفص النحيت مثل الأعمدة فادعوا أنها كانت ذات أعمدة من الرخام فاحتقرت سنة ١٣٣٠هـ (١٣٣٠م) وزعموا أن بيدهم لها محضراً يثبت على يد القاضى جلال الدين التزويى صاحب تلخيص المفتاح وقاضى الديار المصرية فى الدولة الناصرية وأنذ فى مرمتها فرمموها بالحجارة وهى دون الرخام (السخاوي ص ٢٠ و ٢١).

وبعد ذلك اسرعوا باظهار المحضر المشار إليه وتاريخه سنة ١٣٣٤هـ (١٤٤١م) وكان هذا بعد أن ثبتت فى هذا الوقت أنها من الحجارة الجديدة وكونها محدثة مع أنه ليس لهم الاعادة إلا بالتفصى أو دونه فلما ظهر المحضر وقع بين القضاة وغيرهم فى تلك نزاع وانفصل الحال على أن كل ما حكم فيه النايب الشافعى يكمله على مقتضى مذهبة وما عدا ذلك يتولى القاضى المالكى الحكم فيه (السخاوي ص ٣٦).

(د) سعي ملوك الفرنج وامبراطور القسطنطينية لاتحاد الكنائس

فى خلال الجيل الخامس عشر للميلاد قويت شوكة المملكة العثمانية فى أوروبا واستولت على كثير من بلاد الروم. ولما رأى امبراطور القسطنطينية يوحنا الثامن الباليولوجى أن لا إمكانية له على مقاومتهم ولا سلامة لما يبقى لپنهن بلاده إلا بمساعدة ملوك الفرنج والتقارب منهم خرج من بلاده وصار يطوف الممالك الغربية لقصد عقد اتفاقية مع ملوكها على إخراج المسلمين من أوروبا.

ولما كان من مهم زوال الخلاف الدينى بين الشرق والغرب وإيجاد الاتحاد بين النصارى الغربىين والشرقىين فيعد بذلك مجاهدات خطيرة ومخابرات طويلة استقر الرأى على عقد مجمع دينى لهذا الغرض بمدينة قلورنسا من أعمال ايطاليا يحضره بابا روما وجانوس الرابع وبطريرك القسطنطينية يوسف الثاني

وغيرها من نواب الشعب الارثوذكسي (تاريخ الأمة القبطية ليعقوب باك نخله ص ٤٤ وقاموس لاروس القرن العشرين جزء ثالث (فلورنسا) (هنا).

وقد عقد المجمع أولاً في مدينة بال ثم بعد ذلك انتقل إلى فراره إلى أن انعقد أخيراً في مدينة فلورنسا. وقد افتتح العمل فيه في فلورنسا في أيام البابا أوغسطينوس الرابع في ٢٦ فبراير سنة ١٤٣٩ وانتهى المجمع بإتحاد الكنيستين الشرقية والغربية ولكن للكنائس الشرقية رفضت هذا الاتحاد فلم يقم إلا زمناً قصيراً [لاروس للقرن العشرين جزء ثالث ص ٥٢٨ (فلورنسا)].

ولما كان الغرض الأساسي من عقد مجمع فلورنسا أن يتم الاتفاق بين الكنائس الشرقية والكنائس الغربية على الاتحاد بدل الانقسامات الحالية فقد أرادت الأمة القبطية الاشتراك في أعمال هذا المجمع بناء على الدعوة الموجهة إليها فارسلت نائباً من قبلها إلى فلورنسا ليحل مكانها في هذا المجمع الحافل وقد قام بهذه النية رئيس دير أبا أنطونيوس الشهير.

وكان وصول النائب القبطي الارثوذكسي إلى فلورنسا عقب إنفصال جلسة المجمع واستعداد بطريرك القدسية الارثوذكسي للعودة إلى كرسيه إلا أنه بكل أسف تبيح في هذه الليلة وكانت نياحته سبباً في فسخ الاتحاد المبدئي بين الكنيستين الشرقية والغربية.

ولما لم ير النائب القبطي الارثوذكسي بدأ من العودة إلى مصر طلب التصریح له بقبول نائب عن الكنيسة القبطية في المجمع المزمع انعقاده وكان ذلك قبل إعلان فسخ الاتحاد الذي كان يسعى إلى تحقيقه أميراطور القدسية ولم يتم بسبب تجاوز بابا روميه حد الاعتدال في طلباته (تاريخ الأمة القبطية ص ٢٤٥). وعاد الشفاق بين الكنائس الشرقية والغربية قائماً إلى وقتنا هذا ومما زاده تعمداً ما قامت به الكنائس الغربية من إدخال تعاليم غربية عن معتقدات وتقاليد الكنائس الشرقية.

(و) اضطهاد النصارى واليهود

وفي شهر محرم سنة ١٤٤٦ هـ (مايو سنة ١٨٤٦م) حصل على النصارى واليهود من الذلة والإهانة والتغريم ما يفوق الوصف. أما النصارى فأجل ما وجد بداخل كنيسة الملوكين منهم كما تقدم ذكره من الأعمدة والاكتاف الجدد التي صنعت من الحجارة المنحوتة حيث ختم عليها وعلى غيرها من الكنائس بمصر

والقاهرة لوجود التجديد في جميعها وحيل بينهم وبين الدخول إليها بقيام الأميني
الاقصري إلى أن يظهروا ما زعموه من المستند الشاهد لهم بذلك
(السخاوي ص ٣٦).

أما اليهود فانه في ٤ ذى الحجة من سنة ١٤٤٥هـ (١٥ أبريل سنة ١٤٤١م)
توجه القاضيان الشافعى والحنفى والمحتب فى جماعة إلى كنيس اليهود بقصر
الشمع فوجدوا منبراً بثلاث عشر درجة يشبه أن يكون قريب العهد بالتجدد.
فتشاوروا فى أمره وفى أثناء ذلك ظهر فى الدرجة التى يقف عليها كبيرهم كتابة
يلوح أثراً. فقال لهم الشافعى تأملوا هذه الكتابة فتدولها جماعة من الحاضرين
حتى تبين أنها "محمد" وهى ظاهره و"أحمد" وهى خفية واقتضى الرأى إزالة
المنبر المذكور. فصورت دعوى وحكم القاضى علاء الدين بن اقبرس أحد النواب
من الشافعية وناظر الاوقاف بازالته وتآخر المحتب لذلك وتفرقوا (السخاوي
ص ٢٠).

وفي محرم سنة ١٤٤٦هـ (مايو سنة ١٤٤٢م) طلب الحنفى جماعة من يهود
الكنيسة التى وجد فيها امتحان الاسمين كما نقدم وسائلهم عن ذلك فقالوا: "إننا لم نفعل
ذلك ولم نعلم من فعلوا" واجتمعوا على المباحثة بالأفكار والتصورات عليه جرياً على
بعهم. ففرق القاضى بينهم واللح فى استئخارهم حتى اعترف أحدهم بأنه كان
يصد ذلك المنبر. فبادر القاضى وأمر بضرره فضرب ضرباً مبرحاً وشهر به
واعترف منهم آخران بمحاققة الأول ومكابرته لهم فضربهما أيضاً وشهرهما فلم
يلبث أن مات الأول وأسلم أحد الآخرين وتوعك الثاني ثم مات (السخاوي
ص ٣٦).

ومما زاد في اضطهاد اليهود مسألة دار ابن سميح الإسرائيلي الكائنة بحارة
زوبله وكانت موصدة لتعليم أطفال اليهود وسكنى لهم فاحذثوها كنيس عن قريب
وادعى أحد نواب الحنفية على جماعة اليهود أن الدار المذكورة مستحقة لبيت
المال بمقتضى أن ابن سميح مات ولم يعقب ولم يترك ولداً ولا أسلف من ذلك ولا
عاصباً ولا من يحجب بيت المال عن استحقاقها وإن رؤساء اليهود القرائين
ومشايخهم يتداولون وضع اليد عليها خلافاً عن سلف بغير طريق شرعى. فطالبهم
القاضى برفع أيديهم منها وتسليمها لمن يستحقها. فاجابوا بأنها بأيديهم على هذه
الوجه وتلقواها عن أبائهم وأجدادهم ثم صدر الحكم بعد ذلك بتنزعها من أيديهم

وتسليمها لبيت المال ونودى عليها فى يوم الاربعاء ١٢ محرم سنة ١٤٤٦هـ (٢٤ مايو سنة ١٤٤٢م) (السخاوى ص ٣٦ و٣٧ و٣٨).

(ز) مجلس جامع للمسلمين والنصارى واليهود

وبعد ما نقدم من أمر اليهود والنصارى رسم السلطان بعقد مجلس بحضرته والقضاء الأربعه وغيرهم وأحضر اليابا يوانس الحادى عشر البطريرك (٨٩) بطريرك القبط الارثوذكس و الانبا فيلوفاوس البطريرك المتولى على الملکيين (من سنة ١٤٣٩ إلى ١٤٤٦م) وعبد اللطيف من طائفة اليهود الربانىين وفرح الله أحد مشايخ اليهود القرائين وابراهيم كبير طائفة اليهود السامرئين وانعقد مجلسهم هذا فى الأسبوع الأول من شهر محرم سنة ١٤٤٦هـ (مايو سنة ١٤٤٢) وسئل النصارى واليهود عن العهد المكتوب على أسلاقهم قلم يعرفوه ودار الكلام فى المجلس فيما يؤمنون به إلى أن اقتضت الآراء السعيدة تجديد العهد عليهم على وفق المنقول عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سيماء وقد سأله اكابرهم الخمسة فى ذلك، وحينئذ فرض السلطان لشيخ الشافعية الكلام فيه وان يتوجهوا فى خدمته إلى بيته وانقضى المجلس. ولما حضر رؤساء الطوائف الخمسة بباب الشيخ الأكبر استدعاهم بين يديه فقال لهم بعد أن سأله فى ذلك: قد أقررتكم وأرسل بهم إلى القاضى المالكى فاستشهدوا عن أنفسهم ان كلًا منهم ألزم نفسه إلزاما شرعاً أنه لا يجدد فى كنيسة له ولا فى دير ولا فى قلابة ولا فى صومعة ولا فى بيعة مما هو كائن فى مملكة السلطان بنفسه ولا يعنى به بناء ولا غيره ولا يرم ما خرب أو تعيب من جرائها وأخشابها وغير ذلك بالآلات القيمة ولا غيرها ولا يدفع لمسلم خمراً ببيع أو بغيره ولا يسقىه له. ومنى خالف ذلك أو شيئاً منه كان جزاؤه أن يخرب السلطان جميع تلك الكنيسة أو الدير أو القلابة أو الصومعة أو البيعة التي يفعل فيها ذلك وان يفعل فيه ما يقتضيه رأيه وجعل تلك شرطاً على نفسه وألحقه بالشروط المقدمة التي عوهده عليها قبل تاريخه عند شيخ الشافعية. ورضي كل منهم؛ لما علم بنفسه وللإسلام والمسلمين فى ذلك من الحظ والمصلحة ثم حكم بصححة هذا قاضى المالكية (السخاوى ص ٣٩ و٤٠).

٤. بعثة حبشية فى مصر

وفي يوم ٢١ نوفمبر سنة ١٤٤٣م الموافق ٢٤ هاتور سنة ١٥٩ اش (٢٨ رجب سنة ١٤٤٧هـ) قدمت جماعة من عند صاحب الجشة الملك ذرع

يعقوب المعروف باسم قسطنطينوس الأول الذى تولى الملك من أبريل سنة ١٤٤٣ إلى سنة ٤٦٧ م (شين ص ٢٤٦).

وكان ضمن هذه الجماعة لوافة من الحبشة شخصية كبيرة موصوفة بالشجاعة وشخصية أخرى اسمها عبد الرحمن التاجر وكان معه أكثر من مائة رفيق فتقتل بين يدى سلطان مصر وهو فى الحوش وأحضرت هدية مرسلة وهى سبعون جارية وطشت ولبريق من ذهب وسيف مسقط بذهب وحياصه وبنادق ومهماز كل ذلك من ذهب وغير ذلك وقد كتب الملك ذرع يعقوب خاص بما عمل فى الكنائس نصه كالأتى:

(١) **نص كتاب النجاشي ملك الحبشة الصادر ملك مصر**

"المحب الصادق ذرع يعقوب المكى قسطنطين من نسل سيف ارعد من بنى سليمان بن داود عليهما السلام ملك سلاطين الحبشة صاحب النواب بالملكة النجاشية"

وبعد ذلك ذكر أسماء إيمانك، والسلطان والنواب، وقد بلغ عدد هؤلاء السلاطين ثلاثة ثم ذكر مدى إمداده وحدوده بلاده فى الجهات الشرقية والغربية قربها وبعدها إلى بحر المحيط. وقال: "خدا الله ملكه وثبت قواعد دولته ونصر جيوشه وعساكرهم" ثم قال بعد ذلك:

"إلى الإمام الشريف العالى الأوحد السلطانى الملك الظاهر جقمق سلطان المسلمين والاسلام بمصر والشام. سيد الانام الخالص منهم والعام. أعز الله أنصاره. وأدام عزه ولقدرته. وجعل العدل والفضل شعاره. ومنحا بعله وأحكامه أسباب الظلم وآثاره".

"أما بعد: تحمد الله سبحانه وتعالى نقل أرض ملكه لمن يشاء من عباده وخلص العهد لأوليائه القائمين بأمره ومراده. تحمد الله على ما أولاها من جزيل نعماته، ونشكره شكرًا نستديم به من مزيد آياته. ونسأله الاعانة على القيام بما يرضيه لما خولنا من الملك أنواعية والمنزلة العالية الرفيعة أنه على ما يشاء قادر. وبإجلابته قادر. وهو حسبي ونعم الوكيل".

"سلام عليكم سلاماً جزيلاً وافرا على ما يليق بعظمة سلطانكم وعلى امراء دولتكم الاعزاء والخاصين ومقامى جيوشكם وعلى قضاة الشرع الشريف. وأعزهم الله تعالى ورحمته ويركاته. تعليكم جميعاً وبركات الولياء الصالحين".

وَمَا نَعْلَمْ بِمَحْكُومِ الشَّرِيفِ أَنَّهُ قَدْ اتَّصَلَ بِنَا جَمِيلُ أَخْبَارِكُمْ وَإِنْكُمْ حَفَظْكُمْ
الله تعالى أمرتم بـإبطال المظالم من سائر العالم. وردتم القوم الظالمين. ورفعتم
أسباب المضرات من الرعايا بكل البلاد والاقاليم. وغفوت عن من له حرمه
وابعدتم آثار المفسدين. ورحمتم نوى الفاقة من الفقراء والمساكين الذين بهم وجبت
لكم دعوات صالحة شريفة. وبها فتح الله لكم الحصون المنيعة. وانقادت لطاعتكم
الخلائق الغير المطيعة. زادكم الله من هذه الأوصاف المشكورة. ويزيدكم أيضاً
من هذه الطرائق المدوحة. والفضائل الجليلة المشروحة. التي بها صرتم ممن
يُنظَرُ إِلَيْهِ بَعْنَى الْجَلَلَةِ. وَيُصْفَى إِلَى قَوْلِهِ وَيُبَعَّدُ رَأْيُهِ بِالْأَخْذِ مِنْ سُورَتِهِ. وَيُرْجَعُ
إِلَيْهِ فِي الْأُمُورِ الْعَظَامِ. كَمْ مَضِيَّ مِنَ الْمُلُوكِ الْأَبْرَارِ الْأَنْقِيَاءِ الْأَقْوَيَاءِ. مَطْبَقُ
الْأَرْضِ بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ. لَذَا أَنْتُمْ مَتَّهُمْ وَنَظِيرُهُمْ فِي سِيرَتِهِمُ الْعَادِلَةُ الْفَاضِلَةُ
وَكَمَا أَنْ أُولَئِكَ وَقَعَ لَهُمُ الْحَمْدُ وَالثَّنَاءُ وَسَنَاءُ الذِّكْرِ بِجَمِيلِ فَعَالِهِمْ. كَذَلِكَ وَجَبَ
عَلَيْكُمْ أَيْضًا أَنْ تَصِيرُوا بِهَذِهِ الْمَنْزَلَةِ الشَّرِيفَةِ النَّفِيسَةِ الْمَنِيرَةِ. وَالنَّعْوَاتُ الْزَّكِيَّةُ
وَالْأَوْصَافُ الْمَرْضِيَّةُ. وَوَجَبَ لَكُمُ التَّنَاءُ الشَّرِيفُ بِذِكْرِكُمْ. وَالْمَاحُ لَيْسَ فِي مَلْكِكُمْ
فَقْطَ بِلِّفَتِ الْأَرْضِ بِأَقْيَا. مَادَمَتِ الْمَيَاهُ تَجْرِي. وَالرِّيَاحُ تَسْرِي وَالسَّحْبُ
تَنْطَرُ وَالْأَرْضُ تَبْتُ وَالشَّجَرُ يَثْمَرُ. وَالْحَيْوانُ يَنْسُلُ. وَعَلَى الْجَمْلَةِ مَادَمَ الْكَوْنُ
بِأَقْيَا. سَبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ الْأَحْسَانِ الَّذِي خَصَّكُمْ بِهَذِهِ بِأَفْضَلِ زِيَادَةٍ. لَهُ الْحَمْدُ بِلَا
نِهَايَاً".

وَلَمَّا بَلَغَنَا مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ اسْتَشْفَنَا مِنْهُ عِرْفًا طَيِّبًا يَفْوَقُ كُلَّ طَيِّبٍ.
وَقَصَدْنَا تَجْدِيدَ مَا سَبَقَ مِنَ الْعَهْدِ مِنَ الْمُلُوكِ الْمُتَقْدِمِينَ مِنْ بِلَانَا وَبِلَانِكُمْ. اِتَّبَاعًا
لِآثَارِهِمُ الْمَشْكُورَةِ. وَقَصَدْنَا إِعْلَامَكُمْ ذَلِكَ بِشَارَةً لَكُمْ لِيَكُونَ ذَلِكَ الْعَهْدُ مُسْتَمْرِرًا بِلَا
انْحرافٍ. وَالْاِتْفَاقُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ بِلَا خَلَافٍ. وَآخِرُ ذَلِكَ مَا كَانَ فِي أَيَّامِ الشَّهِيدِ
الظَّاهِرِ بِرْ قُوقَ. وَنَجْلَهُ النَّاصِرِ سَقَى اللَّهُ عَهْدَهُمَا صُوبَ الرَّحْمَةِ. وَأَيَّامُ الدَّنَا
وَجَدَنَا مِنَ الْمُحَبَّةِ وَالْاِتْفَاقِ. عَلَى مَا ظَهَرَ كُلُّهُ بِالصَّحَايفِ مِنْ أَخْبَارِهِمُ الْحَمِيدَةِ
وَسِيرِهِمُ الْمَرْضِيَّةِ. وَانْهُمْ كَانُوا قَائِمِينَ بِالْعَدْلِ خَصْرُصَا بِأَخْوَتِنَا النَّصَارَى
مُتَوَصِّلِينَ. وَيَرْجِعُوا عَنْهُمُ الْقَوْمُ الرَّائِدُونَ وَعَنْ كَنَائِسِهِمْ. وَالْقَتْلُ عَلَى مَنْ كَانَ فِيهَا
مِنَ الْكَهْنَةِ وَالرَّاهِبِينَ. وَذَلِكَ بِمَا يَحْقِقُونَ مِنَ النَّجَاحِ فِي خَدْمَتِهِمْ. وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ
يَمُوتُ يَدْفَنُ مِنْ غَيْرِ تَعْرُضِ أَحَدٍ. وَمَنْ كَانَ لَا وَارِثٌ لَهُ وَخَلَفَ شَيْئًا مِنَ الْمَوْجُودِ
يَتَولَّ أَمْرَهُ أَبُونَا الْبَطَرِيرِكَ. لِيَسْتَعِينَ بِهِ عَلَى كُلِّ الْوَارِدِينَ وَالْمَنْقَطِعِينَ. وَقَدْ بَلَغَنَا

الآن ان هذه القواعد قد تغيرت من قبل قوم كانوا عن طريق العدل حائزين. وفى طريق الظلم خائزين. والآن اذا مات أحد من اخوتنا النصارى لا يدفن إلا بعد مشقة كبيرة لأهله وأقاربه. ويؤخذ منهم ما لم تجر به عادة فى أيام الملوك السالفين. والله تعالى لم يعتن أحد من خلقه بقطع الرزق. وإنما وجد منهم أحد على غير الطريق وهو يباشر شيئاً لا يليق به. يؤدب بمغفرده ولا يشاركه غيره. لأن الله تعالى لا يطلب الولد عن أبيه ولا الوالد عن ولده. إنما كل أحد بعمله".
ثم بلغنا أيضاً أن ثم من يتعرض اليهم فى كثائهم فى أوقات صلاتهم وفى أيام أعيادهم بقطع مصانعاتهم واخذ ما لا يستحقون أخذه. إنهم فى غاية الضيق فى ذلك".

"ولتم حفظكم الله عارفون ما يلزم الراعى من النظر فى حال رعيته. وإن الله يطالبه بذلك وأبواه البطريرك وأخواننا النصارى الذين هم الآن تحت عز سلطانكم ومملكتكم الشريفة نفر قليل جداً. ضعفاء الحال مساكين فى كل الجهات. ولا يمكن أن يكونوا قدر قيراط من المسلمين القاطنين بالقليم واحد من بلادنا. وانتم حفظكم الله. ليس يخفى عليكم ما فى بلادنا الواسعة من المسلمين تحت حكمنا ونحن لهم ولملوکهم مالكون. ولم نزل نحسن اليهم فى كل وقت وحين. ومن تقدم من آباءنا وأجدادنا لم يزالوا بهم مستوصين ولأنفسهم وأموالهم حافظين. سامعين لأقوالهم رادعين من يتعرض اليهم ونحن على ما كان عليه آباؤنا سالكون فى طريقهم. غير متعرضين لاقامة مساجدهم. ولا إلى أيام أعيادهم. وأيام مواسمهم. ولملوکهم عندهنا بالتيجان الذهب راكبون الخيول المسومة. وعامتهم فى أسبابهم آمنون مطمئنون على أنفسهم وأولادهم وأموالهم. راكبون البغال فى أحسن الأحوال ولا نأخذ منهم جزية ولا شيئاً لا قليلاً ولا كثيراً. ولا نشوش عليهم أصلاً. ولو أخذنا منهم جزية وكان كل واحد يزن درهماً لكان يجمع لنا من الأموال ما لا يحصى. وإن كنتم فى شكل من ذلك فاسأروا التجار المتردددين إلى بلادنا يخبروكم بذلك بالحق والصدق. ومن نقل اليكم غير ذلك فهو من الكاذبين الذين يقصدون رمى الفتنة التي هي أشد من القتل عند العارفين".

"وليس يخفى عليكم ولا على سلطانكم أن بحر النيل ينجز اليكم من بلادنا. ولنا الاستطاعة على أن نمنع الزيادة التي تروى بها بلادكم عن المشى اليكم. يمنعنا من ذلك إلا تقى الله تعالى. والمشقة على عباد الله".

وقد عرضنا على مسامعكم ما يتبعى إعلامه فاعملوا أنتم بما يلقى الله فى
قلوبكم .

ولم يبق لكم غرر تبدونه . وفي صدق موئلكم وفضلكم ما يغنى عن تكرار
السؤال . وما قصدنا بهذا الا أن يكون بيننا وبينكم الصلح كما كان بين الملوك
السالفيين . ول يكن حبل المودة ممتدأ بغير إنصرام وستعلمون صحة كلامنا .

واسألو الجبرية الذين هم يقيمون بالجامع الأزهر كم لهم سلطان من
المسلمين (إلى أن قال)

وكان والدى داود أرسل رسلا إلى السلطان الملك الظاهر برقوق فقايلهم
بالاكرام والاحترام . وودعهم سريعاً ليكونوا مستبشرين . وبسبب ذلك صار بينهم
اثبات العهود والمودة إلى حين وفاتهم

ولما أراد الله تعالى جلوسنا على تخت ولدنا أرسلنا رسولا إلى الملك
الأشرف رحمة الله لنجدد العهد والمودة بيننا . فاكرم قصادنا وأحسن إليهم وقابلهم
بما كانا أردا منه .

واليآن فقد أرسلنا لعظمة سلطانكم رسلا والمسؤول بروز أمركم بقبول ما
أرسلت من شئ يسير وعدهم سريعاً . ومهمما فعلتم من الاحسان نحن فاعلون
أضعاف ذلك وتصير المودة بيننا وبينكم كما كانت بين الملوك السالفة .

وقد بلغنا ان عظمة سلطانكم رسم للافرنج بعمارة في القدس الشريف من
صدقكم الشريفة بروز أمركم للحبوش بعمارة قبر مریم عليها السلام . ان أحستتم
فما جزء الاحسان الا الإحسان مثله واضعافه .

وقد بلغنا ان دير المغطس هم وهو من أيام الملوك السالفة ومن احسنانكم
بروز أمركم الشريف بعمارة ذلك . ونحن مقيمون على العهد القديم من أيام آجدادنا
واباتنا في اقامة جوامعكم ومساجدكم وأذابهم . وأنتم أيضاً تأمرتون بالنداء : "ان لا
يقول أحد للسفراني يأكلب فان الله مقسم الاذيان ويعاقب كل أحد على قدر ذنبه" أما
نحن فنقول للشريف "ياشريف" وللقاضى "ياقاضى" وللشيخ "ياشيخ" فان لم تصدقوا
فارسلوا لنا إنساناً جيداً ديناً يرى ذلك ويسمع .

وبلغنا أن الحبوش القاطنين بالقدس الشريف قصدوا عمارة بالأرض لميرت
مدفون فيه . منعهم نائب السلطان هناك . والقصد من عظمة سلطانكم بروز أمركم

لتأبى القدس ان يرسم للحبوش بعمارة ذلك. فنحن فى ساير ممالكنا نأمر باجهاز
النداء بعمارة الجامع والمساجد".

"والقصد من عظمة سلطانكم ان تتوصوا غاية الوصية باخوتي النصارى.
لتخير بيننا المودة وتفرج فى أيام سلطانتكم الرعية بعد السلام الواقى النام على
المجلس الشريف السلطانى. وعلى محبيه وعلى أمرائه وقضاة الشرع وعلى كل
من حوت مملكته العالية"

"وهو حسبي وعليه توكلى والحمد لله رب العالمين" (السخاوى ص ٦٧ إلى ٧١).

(ب) تداعى البعض الحشية وأثرها فى مصر وأنجوبها

وهذا الخطاب الشامل يبين بالتفصيل ما كانت عليه حالة القبط فى مصر فى
ذلك العصر كما يوضح الاسلوب الذى كانت سايرة عليه سياسة الدولة نحوهم
وطرق معاملتهم الشاذة. ولما افتقض هذا الأمر أمام السلطان وحاشيته تضجروا
من الحقائق المؤلمة التى كاشفهم بها ملك ملوك الحشة ونجاشيهم وتذكروا جداً من
إذاعتها خارج البلاد المصرية.

(ج) بعثة مصرية لنجوبها وهدايا ملك مصر ملك الحشة

فلما طرق ذلك مسامع السلطان تذكر من تسرب هذه الأخبار ولكن ساك
لمقصد الإعدال وعدم الخطأ طريقة وسطى فجهز شخصاً كان قديماً استادار
الصحبة عنده وهو يحيى بن أحمد بن شادي و معه كما ذكر من الهدايا يرسم كبير
نصارى الحشة لملك ذرع يعقوب. سرجان من ذهب وشقق مذهبة أيضاً وديك
مجوف من بلور مزمك بذهب، ومن الجوخ قطعتان خلاف عشر خلع بوجهين من
الجوخ ومتلها من الصوف الملون وما تبقى ثوب بطانية وزلتعين من الزيت الطيب
وغير ذلك (السخاوى ص ٧١).

(د) كتاب سلطان مصر للنجاشى

وارسل السلطان على يد مندوبيه كتاباً إلى النجاشى يتضمن عدم الموافقة على
جميع ما سأله فيه لقيام النصارى بتعدى الحدود في الديار المصرية واستطالتهم
بالمبالغة في البناء ولاحداث الكنائس ونحو ذلك (السخاوى ص ٧١).

(ه) وصول البعثة المصرية

وصلت البعثة المصرية إلى بلاد الحبشة وقابلت النجاشي. ولما اطلع على كتاب سلطان مصر رفضه واستشاط غضباً حتى عوق القاصد وتهده. ثم لم يلبث أن جرد بحضرته العلوي المسمى شهاب الدين بن سعد الدين ملك المسلمين من الحبشة وهم شرذمة يسيرة ثالثة لكثره مجموع نصارى الإحباش ووقع حرب بين الفريقين وأل الأمر إلى أن قتل ابن سعد الدين ولم يكتف النجاشي بصنعيه هذا بل ألزم قاصد السلطان بالركوب إلى المقتول لينظره في مكانه ليكون انكى للMuslimين فما استطاع مخالفته وسار إلى المكان المنكور الذي بقى فيه أياماً حتى رأه ثم رجع. وكان ذلك بترتيب التاجر عبد الرحمن المنكور أولاً لأنّه كان يتظاهر بأنه مع المسلمين فما تيسر له اقناعهم. واستقر عوض شهاب الدين ولده محمد (السخاوي ص ٧٢ و ٧٣).

(و) وصول أخبار البعثة المصرية إلى مصر وأضطهاد النصارى بسببيها

وجاءت الأخبار إلى السلطان بذلك فكرب لها وضافت عليه المسالك وبادر بإحضار البطريرك البابا يواں وضربه ضرباً مبرحاً وتهده بل ووعد بقتل جميع من بملكه من النصارى لكونهم كانوا السبب في ذلك كله. فروج فيه بروعاً ساحة البطريرك منه واقتضى الرأي أن يرسل كتاباً بخطه عن يد قاصد من طرفه يكون في حاشية قاصد من المسلمين يتضمن التعريف بما حل به من التل والانتقام وما تهدد به هو وشعبه ويلزمهم بعوده القاصد مكرماً ومبلاً من غير تشويش عليه ولا على أحد من المسلمين. فلما وصل الكتاب مع الوفد إلى النجاشي ملك الحبشة أمر بإحضار القاصد وخلع عليه واستمر هكذا مع مقته له واظهار ناموسه بحضرته إلى أن مل القاصد وواجهه بقوله: "إن كان القصد قتلى فيها أنا مستعد لذلك والا فاطلقني" ثم فارقه. فارسل إليه شخصاً من أمرائه يعلمه أن الملك قد من عليه وعفا عنه. فعند ذلك استعد للسفر وسار حينئذ ومعه قاصد من النصارى حتى وصل إلى الديار المصرية بعد مضي نحو أربع سنين (السخاوي ص ٧٤).

(ز) عودة البعثة المصرية من الحبشة مع قاصد حبشي

ولما وصلت البعثة المصرية إلى مصر بعد غياب أربع سنين عوق السلطان أيضاً قاصد النجاشي ثم اقتضى الرأي بإطلاقه. وجهز السلطان الأمير متقل الحبشي لابن سعد الدين ملك المسلمين بالحبشة قائلاً: اتنا نكرم من عندنا من

النصارى رعاية لكم خوفاً على مملكتكم لقلة عدد المسلمين هناك وكثرة القائمين من النصارى أعدائهم (السخاوى ص ٧).

(ح) منع بطريرك الأقباط من الاتصال بالأجانش دون وساطة الدولة

وعقد السلطان مجلساً برئاسته في يوم الاثنين ٢٢ يوليو سنة ١٤٤٨م الموافق ٢٨ أبيب سنة ١٦٤١ش (٢٠ جماد الأول سنة ١٤٨٥هـ) بحضور القضاة الأربعه وغيرهم ومنهم الشيخ بدر الدين العينى لمقاضاة البابا يوانس بطريرك النصارى الواقعية الذي غضب عليه السلطان وضربه وحبسه في المقشرة وأخذ منه شيئاً كثيراً. فأمر المجلس بكتابه إشهاد على بطريرك يوانس بأن لا يكتب إلى ملك مصر أبداً. فلما أتته هذه المذكرة أخذ بطريرك يوانس يكتب إلى السلطان في ذلك يقول: أنا أقسم بالله ما أقول لك إنني أقسم بأيماني أنني لن أكتب إلى ملك مصر أبداً ولا يوكيله ولا ظاهرأ ولا باطننا ولا يولي أحداً في بلاد الحبشة لا قسيساً ولا أعلى منه ولا دونه إلا بإذن منك. وفوجئ بطريرك يوانس بذلك ونفيه بقية خالق ذلك انتقض عهده وضررت عنقه وحكم قاضى المالكية بذلك ونفى به قبة القضاة ثم قرئ الإشهاد بين يدى السلطان والجماعة ورسم بكتابه خمسة نسخ منه ليكون عنده وعد كل من القضاة الأربعه نسخة وإنقض المجلس على ذلك (السخاوى ص ٢١٠) وبذلك ختم موضوع العلاقة بين مصر والحبشة وبطريرك الأقباط.

٥. واقعة بين المماليك والنصارى

وقد توجه في يوم السبت ١٢ فبراير سنة ١٤٤٦م الموافق ١٨ أمشير سنة ١٦٦١ش (١٥ ذى القعدة سنة ١٤٨٩هـ) جماعة من المماليك المفسدين يزيد عددهم على العشرين إلى بيوت النصارى لأخذ الخمور منها ففهم الناس عن ذلك وأخذ النصارى في الدفاع عن بيوتهم حتى أدى الحال بهم إلى مقاولة هؤلاء المماليك فانتصروا عليهم وقتلوا منهم ثلاثة مماليك (السخاوى ص ١٢٣ و ١٢٤).

٦. حوادث خاصة بكنائس الطور في سينا

أقام السلطان في أواخر ذى القعدة من سنة ١٤٤٩هـ (٢٧ فبراير سنة ١٤٤٦م الموافقة ٣ برميthes سنة ١٦٢١ش) هيئة مكونة من القاضى شرف الدين القباني الحنفى والخطيب شمس الدين بن أبي عمر الحنبلى وجماعة من الموقعين للتوجه مع الأمير اينال الذى كان نولدار الناصرى محمد ابن السلطان إلى الطور فى سينا لأنه بلغ لسامع السلطان ان بها كنائس ملاصقة لجامعها تعلوا عليه فى

العلو وان سقوفها مطبقة بالرصاص الموازي لأكثر من ألف قنطرة بلغت قيمتها
نحو عشرة آلاف دينار.

وعقد مجلساً لذلك بالقضاة الكبار فمن دونهم مرة بحضرته وأخرى بالصالحية
وآل الأمر إلى ان ادعى القاضى برهان الدين ابراهيم بن ظهيره الحنفى عند
قضى الحنفية بطريق التوكيل عن السلطان على ثلاثة من رهبان النصارى
الملكين المقيمين بدبر طور سينا ومن بينهم اسقف الدير انه يوجد بالطور ست
كنائس الأولى باسم موسى النبي والثانية باسم السيدة العذراء مريم والثالثة باسم
القديس يوحنا والرابعة باسم القديس استفانوس والخامسة باسم الكرح؛ والسادسة
باسم القديس باسيليوس وكلها مرتفعة البناء على الجامع القيم الداخل فى سور
الدير ارتفاعاً متقاوياً وبسطح واحدة منها ناقوس يقابل منار الجامع على مسافة
ثلاثين ذراعاً من بعضهما. ويجتمع النصارى للضرب به فى اليوم والليلة ثلاث
مرات. وبالآخر قللى عالية على بيت الخطابة والجامع أيضاً. سوى قللى
أيضاً بالدير معدة لسكنى الرهبان فيها تصاوير وتماثيل وأنه بداخل الدير سبع
كنائس بينها وبين الجامع نحو ثلاثين ذراعاً. وبجبيل الطور تسع كنائس وسبعين
للحة والربوة ثلاثة كنائس وسبعين الفقيرة كنيسة مما جمعيه يحدث بدار الاسلام
وانه بكل من الوادى والجبل أراضى مشغولة بالكرום والبساتين من سنين متقدمة
وهي مستحقة لبيت المال وهم لا يقومون بخراجها. فاجابوا بصحة الدعوى غير
انهم لا يعرفون الكنائس الست الاولى وانهم يقومون بخارج ما ينتفعون به من
الاراضى مع زيادة عليه لحجاج المسلمين المنقطعين الذين يردون من البحر
والبر. وكان سبق منهم قبل تاريخه السؤال فى أن يقرر عليهم فى اجرة الأرضى
كل سنة خمسون ديناراً يؤدونها فى كل شهر بمقدار أربعة دنانير وسبعين دينار
لجهة الجامع المنكور. ولما تم ما يقتضى الحكم سأل المدعى فيه فحيث استخار
الله أمر الرهبان الثلاثة بهدم ما بالجبل من الكنائس والصوماع المستجدة وبهدم ما
ارتفاع من بناء الكنائس المجاورة للجامع على بنائه ويؤخذ منها أيضاً ذراع بحيث
تكون منخفضة عن الجامع (السخاوي ص ١٢٤).

وينقض ما علم احداته من الكنائس أمراً شرعاً بطريقه عالماً بالخلاف
والتزمه بتسلیم انقضاض ذلك لمن يقول قبض ما يكون لجهة بيت مال المسلمين
ليجعله فيه حين يتبين له مستحق بالطريق الشرعي لكونهم أقروا انهم لا يعرفون

لها مالكا ولا مئشأ ولا مستحقاً ترد اليه. وكان ذلك كله في شوال من السنة وبعد ذلك طلبوا بخراج تلك الأرض في مدة وضع أيديهم عليها وانتفاعهم بها في الزرع والغرس وغير ذلك. وكتب عليهم أجایر مستقلة. ثم رسم السلطان لكل واحد من التواب للموقعين المعينين بهجن برسم الركوب وبعشرين ديناراً برسم النفقه.

ولما وصلوا إلى الطور كشفوا الكنائس المشار إليها فوجدوها كما شرحت هذا مع انهم سبق اعترافهم بذلك غير انه فعل قطعاً للحجج من كل وجه فكتبووا محضراً يتضمن شرح ذلك ثم صورت دعوى شرعية وحكم القاضي شرف الدين بن التباني النائب الحنفي بعد استيفاء الشروط بحضور جماعة من الرهابين والنصارى المقيمين هناك بهدم هذه الكنائس والقلالي وبأن انقضاضها تكون لبيت المال وكان ذلك في خامس عشر ذى الحجة (١٤ فبراير) وكفى الله المؤمنين بالقتل" (السخاوي ص ١٢٥).

وبعد دهر طويل استفتى الشیخ سراج الدين العبادی الشافعی عن هذا الحكم فقال:

قد وقفت على هذه الأحكام المسطرة والإلزامات المحررة فوجئت بها آخذة بضلوعي الكتاب والسنة من تعظيم الإسلام ومحله لأنه يعلو ولا يعلى عليه. وقد تقررت للمذاهب للشريفة التي استقر الحال على تقليد أئمتها والأخذ بقولهم والاقتصار في جميع الأقطار على إجتهادهم على منع الكفار (هكذا) من إحداث البيع والكنائس في دار الإسلام وعلى منعهم من اعلاء بنائهم على بناء المسلمين المجاور لهم بل ومن المساواة وهم ما خالفوا فيه هذا الحكم كما وقع في هذه الأحكام. ومن لم ينقاد لذلك فهو ناقد للعهد لأن من شروط العهد أن ينقادوا لأحكام الإسلام وهذا منها. ومن خالف ذلك بعد صدور الحكم والعلم به انقض عهده ولا سيما إذا انضم إلى ذلك إظهار إستهزاء وعدم مبالغة بأحكام الشريعة المطهرة. ولا يقتصر النقض على الفاعل بل من علم حاله منهم وأقر على فعله كان حكمه في نقض العهد وصدور الحكم على من ذكر من النصارى المغوض لهم أمر هذه الكنائس المنكورة كاف في حق كل أهل ملتهم ولا يقتصر بالحكم عليهم لما في ذلك من المشقة على من يريد إقامة الشريعة المطهرة. وكذلك الحكم الصادر بحمل الانقضاض المنكورة مال ضایع لا يعلم مالكه فيكون لبيت المال يصرفه الإمام فيما رأه ويؤدى إليه إجتهاده على وجه المصلحة الشرعية. وموت النصارى المحكوم

عليهم بالهدم قبل فعله لا يمنع من الهدم لانبرام الأمر بحكم الحكم. وليس المراد بقول الحكم ألمت أو أمرت الا الحكم وكل هذا مبني على اعتراف المدعى عليهم وهو كاف في صلب الحكم الشرعي بما يقتضيه الحال من الهدم وغيره. وأغوناه لدق النقوص في مقابلة النداء للصلة الشرعية. وإن لم يكن في أوقاتها فان فاعل ذلك إنما يريد به المناظرة والمشابهة وربما يستترجمهم الشيطان إلى دعوى سبق هذه الصفة واستحقاقها طغيانا منهم وكفرا. ولا يخفى ما يتربى على ذلك من المفاسد خصوصاً من عنده ضعف في الاعتقاد وابتداء في تخل الالسلام. ويجب على ولئ الأمر أيد الله به الدين وقمع به أهل الشرك والملحدين القيام في تقرير هذه الأحكام وإظهار ما تستحقه الشريعة المظيرة من الاعلاء والاعظام ومعاملة من خالف هذه الأحكام اليه بما يقتضيه اجتهاد أهل التفض والأبرام والله أعلم أن يوفقا لنصرة دينه ويعيذنا بسنة رسوله وأمينه والحال هذه والله أعلم" (السخاوي ص ١٢٥ و ١٢٦).

ومما تقدم بيانه يظهر جليا تحامل رجال القضاء تحاملاً يتافق مع سمو الآديان الالهية وروح الدين الاسلامي نفسه بل يتضح من ذلك بلا لدنى شك روح للبغضاء المسيطرة على عقول رجال هذا العصر بدلاً من روح التسامح التي تبشر بها الشريعة السمحاء.

٧. كنائس الملكية في مصر

ولم يكتف على الاضطهاد الواقع على كنائس أثيرة شبه جزيرة سيناء والطور بل ان الأمر تعداه إلى أثيرة وكنائس الملكيين في قصر الشمع. ففي صبحية أول جمادى أولى سنة ١٤٤٦هـ الموافقة ٢٥ يوليه سنة ١٨٥٠م (أول مصرى ١٦٢أش) رفع العلاء بن قبرس ناظر الاوقاف إلى السلطان ان جدار كنيسة الملكيين بمصر في قصر الشمع عال على مسجد بجوارها وانه يجب هدمه (السخاوي ص ١٤٥ و ٢٧٢).

وكان للسبب في ذلك ان بردار العلاء سلط على بطريق الملكيين المستقر فيها في السنة الماضية بعد هلاك الذى كان فيها وطبع فيها لقرب عهده. فرفع بطريق إلى السلطان قصة أعطاها لكاتب السر يشكوا فيها البردار المشار إليه وكثرة تسلطه عليه. فبادر العلاء حميه لبرداره وذكر ما تقدم. فحيث ذكر أمر السلطان نائب القاضى الشافعى أن يتوجه هو وكاتب السر إلى مصر للكشف على

ذلك. فتوجهوا وقيل انهم رأوا الجدار الذى من جهة الجامع مائلاً فحكم نائب الشافعى بهدمه خشية أن يسقط على المسجد وانفصل على ذلك. وكان السلطان ظن أنه يجب هدم الكنيسة أصلاً وكان الحنفى المتنصل حاضراً فتفريط عليه لكونه قال "ما تهم الا بشرط أن تكون حائنة". فان كان المسجد قيماً وجوب هدم ما يعلو عليه" فقال له: "فلم تفعل هذا حين كنت حاكماً بل كنت تفعل عكسه (السخاوى ص ١٤٥).

وفي يوم السبت ٢٠ جمادى الآخر سنة ١٤٤٧هـ (٢ سبتمبر سنة ١٦٤١م الموافق ٤ توت سنة ١٦٤١ش) أمر السلطان بهدم كنيسة النصارى الملكيين التى يقتصر الشمع وسبب ذلك ان السيد شهاب الدين أحمد النعمانى المصرى بلغه ان النصارى قد أعدوا بدل العمد الحجر العزالة منها فى سنة ١٤٤٦هـ كما تقدم عمداً من جيس وأجز باذن من بعض التواب الشافعية فيما بين هاتين المدتتين.

فاجتمع السيد بالقاضى ولى الدين السقطى وكان من يعظم السيد ويجله وذكر ذلك له فوعده بايصال علمه إلى السلطان وأبطأ عليه برد الجواب. ولما كان صباح يوم السبت المشار إليه حضر القاضى الشافعى ولدى الدين السقطى وبقية القضاة الأربعه ومن شاء الله من الاعيان إلى الكنيسة المذكورة وكشف فوجئت بالعمد المشار إليها مبنية بالجبس والأجر فأدعى حينئذ على "أتاسيوس الرابع" بطريرك النصارى الملكيين لكونه هو المعين من السلطان بسماع الداعوى بأن الكنيسة الكائنة بمصر داخل درب يعرف بميكائيل عمداً مبنية بالطوب والجبس عندها أحد وعشرون عموداً وعتبة موسينى كلها محدثة لكونها كانت قبل تاريخه مبنية بالحجر للنحیت وحكم بهدمها. ثم طلب المدعى ازاله ذلك لكونه حديثاً وقد عوهدوا على عدم الاحاديث والترميم. فسأل القاضى المدعى عليه عن ذلك بعد مشاهدة البناء المستجد بالطوب والجبس. فلما جاب بأنه لم يعر شيئاً من ذلك وأنه انما عمر في زمان البطريرك الذى كان قبله المسمى فيلوثاوس. فقيل للمدعى البيئة فلما حضر من شهد بأن هذه العمد والاكتاف كانت قبل تاريخه بالحجر الفص ثم هدمت بالشرع وقد اعيدت بعد ذلك بالطوب والجبس المشاهد وأنه استقيض على السنة القناعة وغيرهم أن هذه الكنيسة حرقت جميعها قبل تاريخه بمدة لا يعوض جر ثم أعيد ذلك ولا يعلم من اعاده. وصدر ذلك بحضور القاضى جلال الدين البكرى. فسئل هل صدر منه اذن في البناء المحدث أو حكم. فلما جاب بأنه لم يقدم

له في ذلك إذن ولا حكم لكونه معصية ولا يسُوغ الأذن بهم جميع هذه الكنيسة. حيث إن استوفى القاضي الشروط وحكم بهمها على مقتضى مذهبه وكان حكمه هذا بحضورة السلطان وأركان الدولة بدهليز القاعة التي بداخل الدهيشة. وتنبأ السلطان لهمها وكيل بيت المال وناظر الأوقاف ومعلم المعلمين. وأمر ببيع انتقضها وان يعمر من ثناها المسجد القديم الذي كان بجانبها الغربي المعروف بمسجد الطليحي فهم يأجتمعه وجعل كرسى للبطريرك الذي كان يجلس عليه يوم العيد منبرًا بعد ما اختصر منه بعضه لمزيد علوه وأخذ في بنائه من أخشاب الكنيسة وعدها الرخام وزجاجها ونحاسها وجعلت في الجامع ولم يؤخذ من أرض الكنيسة في الجامع شيء (السخاوي ص ١٨١ و ١٨٢).

وهكذا كانت الأحكام التي تصدر باسم العدالة وهي بعيدة كل البعد عن روح الإسلام وأحكامه بل مبنية على حكم الاستبداد والتعصب الغادر.

٨. تصرفات الشیخ النعمانی القاضی الشافعی مع النصاری والیهود

يقول السخاوي في كتابه أن السيد شهاب الدين أبو العباس القسطنطيني الأصل والمصري المولد القاضي الشافعی الشهير بالعنانی كان نقاً على أهل النّمة فيما يجدونه في كنائسهم. بل هو القائم في هدم كنیسة النصاری الملکیین بقسر الشمع. وأنه نكل بالنصاری حتى أسلم على يديه ثمانون. وأنه لم يُئنْ فی بقسر الشمع ولا في نموه ولا في المدينة كنیس للیهود ولا کنیسة للنصاری الا وقد نالها من السيد إما هدم وإما بعض هدم وإما إزالة منبر أو إزالة حجاب وهي المقاصير التي تجعل على الهياكل. وقد أصابه الله بأمراض البواسير والفتق وغيرها وما توفي في ٣ ذى الحجه سنة ١٤٤٨هـ (٢٨ يناير سنة ٢٠١٤م الموافق ٢٠١٦هـ) السخاوي ص ٢٢٨) وقد نال من الله للقصاص العادل على تعصبه الأعمى وتعبيه على بيع الله ظلماً وغداً.

٩. ذکر بعض مشاهیر الأقباط والنصاری الذین ترکوا النصرانیة حباً فی الظهور

وقد نبغ الكثيرون من القبط والنصاری من الملل الآخری ولكنهم اعتنقوا الإسلام لا حباً في الدين بل سعياً وراء الحصول على المراكز العالية. وأشهرهم ابن أبو غالب القبطي الذي كان من كتاب الدولة في ديوان الجيش الشامي ثم صار أحد موقعي الدست في أيام البدری بن فضل الله ورسم له في أيام الناصرية فرج

بركوب الخيل وكتب التوقيع أيضاً بباب الدوادارية في الخاص (السخاوي ص ١٥٣).

وكذلك اشتهر منهم أبو غالب سعد الدين القبطي المعروف بابن عويد السراج كاتب الامير الدولار الثاني دولات باى وصار من الرؤساء (السخاوي ص ٤٠٨ و ٤٠٩).

وكذلك أيضاً ابن كاتب المناخ وهو من نسل شمس الدين المصري القبطي وقد ولى الوزارة مراراً إلا انه صودر في أمواله وضرب بالمقارع ومرض ومات (السخاوي ص ٢٤٤).

هؤلاء كانوا من أقباط مصر الذين دفعهم حب الظهور والرئاسة إلى اعتناق الإسلام لا حباً في الدين بل حباً في الدنيا.

ومن النصارى غير المصريين اشتهر يوسف جمال الدين بن الصفي الكركى القاهري وقىم القاهر فقيراً واعتق الأسلام وتدرج فى الوظائف الهاامة بالدولة وافتى أموالاً كثيرة وكان من العلمين بأعمال المباشرين على طريقة الأقباط ومات كبير السن (السخاوي ص ٤٢٢).

١٠. مشاهير رجال الكنيسة في ذلك العصر

وقد اشتهر من كتاب الأقباط الأنبا قرياقوص أسقف البهنسا وهو من رجال الجيل الخامس عشر للميلاد وقام بوضع عدة مبادرات متفرقة في مدح العذراء وفي قيامة السيد المسيح وفي هروب العائلة المقدسة إلى مصر وفي مدح الشهيد بقطرو (المخطوطات النصرانية ص ١٧٠).

١١. ممارسات خاصة بمعاملة النصارى واليهود

وقد أصدرت الدولة عدة ممارسات لرعاياها النصارى واليهود بأحكام جائرة لا تتنق مع روح العدالة والمساواة في الحقوق ولا تتفق مع الآداب الإسلامية وقواعد الدين ولا مع الواجب الإنساني فضلاً عن عدم إتفاقها مع ما تقضى به حسن سياسة الدولة العامة مع رعاياها.

وتتحصّر أخص هذه الأحكام فيما يأتي:

أولاً: في يوم الجمعة ١٤ رجب سنة ١٨٥٢ هجرية الموافق ١٣ سبتمبر سنة ١٤٤٨م و ١٦ ثوت سنة ١١٦٥ش صدر الأمر بمنع اليهود والنصارى من طلب المسلمين وعلى الرغم من ذلك فقد امتنع المسلمين العاقلون من العمل به حيث

يقول السخاوي في تاريخه: «لعله هذا المنع دام فقد إلتمن الناس على أبدانهم وأموالهم واعدائهم ولا قوة إلا بالله» (السخاوي ص ٢١٥).

ثانياً: في يوم الثلاثاء ٢٣ صفر سنة ٨٥٤ هـ الموافق ٥ مايو سنة ١٤٥٠ م ١٢ برموه سنة ١١٦٦ ش نودى بالقاهرة بأن لا يزيد كل من النصارى واليهود في عما يملئهم على سبعة أذرع لكونهم تعدوا في ذلك وزادوا على الحد (السخاوي ص ٣٠٦).

ثالثاً: في يوم الثلاثاء ٢٠ ربيع الأول سنة ٨٥٦ هـ الموافق ١٠ أبريل سنة ١٤٥٢ م ١٥ برموه سنة ١٦٨١ش طلب ناظر الجوالى وهو الشرقى الانصارى نصارى الديار المصرية من أجل ما بلغه عنهم من شراء الجنوارى المسلمين والزمام بحضور ما عندهم من الجنوارى وضيق عليهم بسببه حتى استنفذ منهم شيئاً كثيراً واستمر فى تتبعه والفحص عنه (السخاوي ص ٣٨٥).

وهذا جزء من الكثير مما يدل على روح الاستبداد والتعصب الاعمى الذى يتبرأ منه الإسلام والمسلمون.

١٢. حوادث وأخبار مختلفة

حضر إلى القاهرة قاضى سواكن فى ١٧ ربيع الثانى سنة ٨٥٢ هـ الموافق ٢٠ يونيو سنة ١٤٤٨ م و ٢٦ بؤونه سنة ١٦٤١ش وأخبر السلطان أن نصارى الحبشة وكثيرهم قد عمروا نحواً من مائتى مركب لغزو المسلمين وأخذ سواحل البلاد الحجازية وانهم يقصدون أيضاً قطع بحر النيل وتعويقه حتى لا تصل مياهه للMuslimين. ثم تكرر المجرى بهذا الخبر بعد ذلك مرة بعد أخرى فى نفس هذه السنة (السخاوي ص ٣٠٩).

ثم ابتدأ نهر النيل فى أواسط جمادى الأولى سنة ٨٥٤ هـ الموافق ٢٦ يونيو سنة ١٤٥٠ م و ٢مسرى سنة ١٦٦١ش لا يفيض كعادته واستمر فى التفاصان بدرجة مخيفة إلى آخر شهر مسوى فارتاج الناس وتزايد ارتفاع الأسعار لاسيما والنقص فى البحر مستمر فقل الخبز من الأفران والأسواق وعز وجوده إلا بممشقة زائدة وتعطلت معايش كثيرين بسبب تحصيله ولم يتمكن أحد من اظهاره ولا من اظهار الدقيق خوفاً من نهبه (السخاوي ص ٣١٠).

وأرسل السلطان لل الخليفة أمير المؤمنين للابتهاج والتضرع إلى العزة الالهية ليمن على الأمة المصرية بفيض النيل ووزعت الحسنات وفعل سائر الناس كذلك في أكثر الجولام بحيث كان يوما لم يعهد مثله ومع ذلك فلم يزد بل نقص أيضاً ثم ثورى في الناس بالخروج صياما للاستفقاء بالصحراء قبادر الخليفة والقضاة والعلماء والفضلاء والمشايخ والأمراء والاشراف والعوام وسائر الناس من الرجال والنساء والصغرى والرقيق حتى أهل الذمة وصلوا جميعاً وابتلهوا لينزل الله الغيث عليهم وكثير الضجيج والبكاء والاستغاثة والتضرع وكان يوما مشهوداً. ومع ذلك فلم يزد النيل بل نقص أيضاً وتزايد البلاء (السخاوي ص ٣١١).

واستمر الناس في المواصلة على الصلاة يومياً حتى أجاب الله سؤالهم فبتدأ النيل في الزيادة في يوم الأحد ٢ شهر توت سنة ١٦٧١ش إلا أنه لم يصل لحد الوفاء وكانت سنة غلاء وقط وجوع في البلاد (السخاوي ص ٣١٢ و ٣١٣).

١٣. نباجة الأنبا يوانس الحادى عشر

قال السخاوي في تاريخه: توفى فرج اليعقوبي النصراني بطريرك النصارى في ليلة الجمعة رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ٩٨٥٦ هـ (بشنس سنة ١٦٨١ش و ٤ مايو سنة ١٤٥٢ م) ودفن من الغد (ص ٤٠٩).

وجاء في ذيل تاريخ أبو شاكر بن الراهب أن البابا يوانس بطريرك التاسع والثمانين تبع في تاسع بشنس سنة ١٦٨١ش في حارة الروم ودفن بالخندق بعد أن أقام على الكرسي ٢٤ سنة و ١١ شهر و ٢٣ يوماً وكان مقبر كرسيه في مدة رئاسته بكنيسة العذراء بحارة زويله وخلى الكرسي بعده أربعة شهور وتسعة أيام (ص ١٢٤٣).

وجاء في ذيل تاريخ البطاركة لأسقف فوه أنه أقام على الكرسي ٢٤ سنة و ١١ شهر و ٢٠ يوماً (ص ١٨٢).

وجاء في ذيل تاريخ البطاركة لابن المقفع أنه أقام على الكرسي خمسة وعشرين سنة وتبع في ٩ بشنس سنة ١٦٨١ش (كتاب ١٥ تاريخ بمكتبة الدار البطريركية ص ١٢٩٦).

و جاء في ذيل جدول البطاركة الوارد في كتاب مصباح الظلمة لابن كبر أنه
تولى على الكرسي مدة ٢٤ سنة و ١١ شهر و ١٧ يوماً وتاريخ في ٩ بشنس سنة
١٦٨١ش (ص ٢٦٦).

و جاء في ذيل جدول الأسعد بن العسال في كتاب الإبطي ما يؤيد روایة
مصباح الظلمة (ص ٦٢).^١

وحقيقة مدة اقامة هذا البابا على الكرسي المرقسى الاسكندرى هي ٢٤ سنة
و ١١ شهر و ٢٣ يوماً، لأن جميع المؤرخين القبط المعتقد نذيرهم اجمعوا على أنه
تولى الكرسى في ١٦ بشنس سنة ١٤٣١ش الموافق ١١ مايو سنة ١٤٢٧م وتاريخ
في ٩ بشنس سنة ١٦٨١ش ٤ مايو سنة ١٤٥٢م في سلطنة فخر الدين عثمان بن
القائم بأمر الله الملقب المنصور وقد خلى الكرسى بعده أربعة أشهر وستة أيام.

وقد ذكر جميعهم أن خليفة البابا متأوس الثاني الشهير بالصعيد تولى
الكرسى بعده في ١٣ توت سنة ١٦٩١ش الموافق ١٠ سبتمبر سنة ١٤٥٢م وقد
قال السحاوى عن هذا الأخير في كتاب تاريخه ما يأتى: وفي يوم الأربعاء ثانى
عشرين شهر رجب سنة ٨٥٦هـ (٢٢ مسري سنة ١٦٨١ش الموافق ١٥
غسطس سنة ١٤٥٢م) استقر سليمان النصرانى اليعقوبى بطريرك التصارى بعد
موت البطريرك وشغورهاأشهراً حتى لحضر هذا من بلاد الصعيد (ص ٣٨٩).^٢

ويظهر من خبر السحاوى ان المنتخب للبطريركية لحضر للرسامة فى
التاريخ المنكور وهذا الخبر يؤيد انه حصل خلو بين السلف والخلف مدة أشهر أما
الرسامة فقد تمت في ١٣ توت سنة ١٦٩١ش كما تقدم ذكره وتلوك فى أيام
السلطان ايتال أبو نصر الأشرف.

١٤. حضور بعثة حبشية بعد وفاة البطريرك

وبعد نهاية البابا يوانس وتوليه خلفه حضرت إلى مصر في يوم السبت ٢١
محرم سنة ٨٥٧هـ الموافق أول فبراير سنة ١٤٥٣م وأمشير سنة ١٦٩١ش
بعثة حبشية استقبلتها السلطان بالعيش السلطانى (السحاوى ص ٤٢٨) ويظهر أنه
السلطان المنصور فخر الدين عثمان بن القائم بأمر الله.

البابا متاؤس الثاني

البطيريك (٩٠)

١. موطن الأصل ورثته

كان اسم هذا البابا قبل إنعامجه في سلك الرهبنة سليمان الصعيدي وكان من أهالي صعيد مصر وترهب في دير السيدة العذراء الشهير بالمحرق وكان اسمه بعد الرهبنة متى الصعيدي نسبة لسقوط رأسه (السخاوي ص ٣٨٩).

٢. اختياره للبطيريكية

لما تبتع البابا يوأنس الحادى عشر البطيريك (٨٩) فى ٩ بشتى سنة ١٦٨١ ش الموافق ٤ مايو سنة ١٤٥٢م اجتمع مجمع الاساقفة المقدس مع أراخنة الشعب لإختيار خليفة فاجتمعوا الرأى على انتخاب الراهب متى الصعيدي لكرسي البطيريكية حضر من ذيروه ووصل إلى مصر في يوم الأربعاء ٢٢ مسري سنة ١٦٨١ ش الموافق ١٥ أغسطس سنة ١٤٥٢م (السخاوي ص ٣٨٩).

٣. رسامة بطيريكها

ورسم هذا الراهب بطيريكها في يوم الأحد ١٣ نوت سنة ١٦٩١ ش الموافق ١٠ سبتمبر سنة ١٤٥٢م بعد أن ظل الكرسي البطيريكى خالياً مدة أربعة أشهر وستة أيام ودعى باسم البابا متاؤس الثاني البطيريك (٩٠) في أيام السلطان فخر الدين عثمان (كتاب التواريخ لابن الراهب ص ٢٤٢).

٤. حضور بعثة حبشية إلى مصر

وفي ٧ أمشير سنة ١٦٩١ ش الموافق أول فبراير سنة ١٤٥٣م حضرت إلى مصر بعثة حبشية لزيارة البابا يوأنس المتنيح فوجئته انتقل من هذا العالم واعتنى الكرسي بعده البابا متاؤس الثاني.

وقد استقبل السلطان المنصور فخر الدين عثمان بن القايم بأمر الله هذه البعثة الحبشية أحسن استقبال (السخاوي ص ٤٢٨).

وكان غرض هذه البعثة الحبشية اختيار مطران لها وذلك في أيام ملك الحبشة نرجع يعقوب الملقب باسم الملك قسطنطين الأول. وقد تم رسامة المطران المطلوب وأسمه المطران غبريل (شين ص ٢٦٦ - ٢٦٨).

٥. اقامته فى كنيسة العذراء بحارة زويله

وأقام للبابا متاؤس الثاني كأسلافه البطاركة فى كنيسة العذراء الأثرية بحارة زويله وظل بها مدة رئاسته على الكرسي البابوى.

٦. وفاة السلطان فخر الدين عثمان

توفى يوم ٢٩ صفر سنة ٨٥٧ هـ الموافق برميthes سنة ١٦٩١ش وممارس ١٤٥٣م توفي السلطان فخر الدين عثمان بن القايم بأمر الله وبويوع مكانه مثلكوك اسمه أبو النصر إينال ولقبوه الملك الأشرف (التوقيفات الإلهامية ص ٤٢٩) وتولى بعده أحمد بن إينال المؤيد وبعده خشقادم سيف الدين الظاهر.

٧. عمل المironون المقدس

وأقام البابا متاؤس الثاني بعمل المironون المقدس وتقديسه فى سنة ١١٧٤ للشهداء الموافق سنة ١٤٥٨ ميلادية فى بيعة السيدة العذراء الظاهرة القديسة مريم ولادة الإله بحارة للروم وقد كان المهمتم بهذا العمل المقدس والمجتهد فيه صاحب الذكر الدائم المولى الأجل الارخن الرئيس المحب للمسيح الارشيدياكون الكرم الشيج رلى الدولة ميخائيل المهمتم باليبيعة المنكورة والناظر على الشعب الارثوذكسي والبيع المقدسه باورشليم والمبادر للنخيرة السلطانية وقد اشتراك مع الولى الشيج رلى الدولة فى هذا العمل الظاهر الولد المبارك الشمس المكرم برسوم بن الاشقر الارشى ديانون وللولد المبارك الشمس المكرم الشمس أبو المنصور ابن الأب القس التجاج المعروف بالمصري.

وقد اشتراك مع قداسة البابا متاؤس الثاني فى هذا العمل المقدس الاساقفة الذين حضروا من الكراسي البحرية والقليبية وهم:

- (١) الأنبا إيساك مقدم الأساقفة وأسقف كرسي منية القديس أبي قيس وطحا المدينة.
- (٢) الأنبا يوانس أسقف أسيوط ومنفلوط وأبو نيج وابن الاب الاسقف خرستونلو.
- (٣) الأنبا ميخائيل أسقف كرسي القوصية.
- (٤) الأنبا ليساك أسقف كرسي صنفا والمحلة.
- (٥) الأنبا يوانس أسقف كرسي الفيوم.
- (٦) الأنبا ميخائيل أسقف كرسي قسقام.

(كتاب طبخ المiron رقم ١٠١ طقس ص ١٣٢ و ٣٠١ و ٣٠٢ ورقم ١٠٢
ص ٣٠٢ ورقم ١٠٣ ص ١٣١ و ٢٨٦ ص ١١٧) بمكتبة الدار البطيريكية
بـالقاهرة.

٨. نياحة البابا متاؤس الثاني

وفي اليوم الثالث عشر من شهر توت سنة ١٨٢ اش الموافق ١٠ سبتمبر سنة ١٤٦٥ م تنيح البابا متاؤس الثاني بعد أن جلس على الكرسي البطيريكى مدة ثلاث عشر سنة ودفن فى دير الخندق المعروف الآن بدير أثبا رويس وذلك فى أيام السلطان الظاهر خشقدم.

وقد خلا الكرسى بعده مدة أربعة أشهر وتسعة وعشرين يوما.

البابا غريال السادس

البطيريك (٩١)

١. موطنه ورہبته

كان هذا البابا من العرابة المدفونة وترهب في دير القيس أنطونيوس وترقى في الدير حتى أصبح رئيساً عليه وكان اسمه غريال العرباوي نسبة لمسقط رأسه ويلقب بابن قطاع العصافور.

ولما تنيح البابا متاؤس الثاني ظل الكرسي خاليا نحو خمسة أشهر.

٢. اختياره للبطيريكية

ولما طال خلو الكرسي اجتمع الاساقفة والأراخنة وبحثوا عنمن يليق للبطيريكية فوق الاختيار على الأب غريال العرباوي فكرسوه بطيريكى في يوم الأحد الموافق ١٥ أמשير سنة ١٨٢ اش (٩ فبراير سنة ١٤٦٦ م) باسم البابا غريال السادس البطيريك (٩١) (كتاب تاريخ وجداول البطاركة ص ٩٢) في عهد الملك الظاهر سيف الدين خشقدم.

وقد كان يقيم بالقلالية البطيريكية بكنيسة العزاء الاثرية بحارة زويله طول مدة رئاسته.

٣. مدة اقامته على الكرسى

وظل البابا غريال السادس بطيريكى مدة ثمانية سنوات وعشرة أشهر وستة أيام.

٤. تاريخ نياحته ومحل دفنه

وفي يوم ١٩ كيدهك سنة ١١٩١ ش الموافق ١٥ ديسمبر سنة ١٤٧٤ م تدح
البابا غبرיאל بسلام واحتفل بجنازته إحتفالاً شعبياً من حارة زويلة إلى دير الخندق
وتفن في مقبرة البطاركة بكنيسة القديس فريج الشهير بأنبا رويس في أيام السلطان
أبو النصر الأشرف (كتاب تاريخ وجداول البطاركة ص ٩٣).

٥. مدة خلو الكرسي بعده

وبعد نياحته ظل الكرسي خالياً مدة طويلة بلغت سنتين وشهراً واحداً واثنتين
وعشرين يوماً.

٦. مشاهير الرجال في هذا العصر

وكان في هذا العصر رجلاً من رجال الكنيسة اشتهر في وضع وتأليف الميامير
ويهو الانبا قرياقوص أسقف البهنسا الذي عاش في القرن الخامس عشر.
أما الميامير التي اشتهر هذا الاب في وضعها فهي خاصة بمديح العذراء
 Rocamme العيد المسيح. وهروب العائلة المقدسة إلى مصر. ومديح القديس بقطر
 الشهيد (المخطوطات العربية ص ١٧٠).

البابا ميخائيل الرابع

البطيريك (٩٢)

موطنه وعائلته ودير رہبته

هو ابن للقس يوحنا ويعرف بابن سماعيده وموطنه الأصلي مدينة سمالوط ولم
ينظر مؤرخي سير البطاركة اسم الدير الذي ترهب فيه واختير منه للبطيريكية
(ذيل فوه ص ١٨٤).

اختيارة للبطيريكية

وبعد نياحة البابا غبرائيل السادس البطيريك (٩١) في ١٩ كيدهك سنة
١١٩١ ش (١٥ ديسمبر سنة ١٤٧٤ م) ظل الكرسي خالياً مدة طويلة وهي سنتان
وشهر واحد واثنان وعشرون يوماً فاجتمع الآباء الأساقفة والآباء لإختيار
خليفة وبعد البحث وقع الاختيار على الراهب ميخائيل السمالوطى فقاموه
بطيريك فى ١٣ أمشير سنة ١١٩٣ ش الموافق ٧ فبراير سنة ١٤٧٧ م فى عهد

الملك قايتباى الأشرف أبو النصر الظاهر محمودى (ابن الراهب ص ٢٤٣ وذيل فوه ص ١٨٤ وابن كبر ص ٢٦٦).

مدة توليه الكرسى البطريركى

وقد أقام البابا ميخائيل على الكرسى البطريركى مدة سنة واحدة وثلاثة أيام وتنبيح فى ١٦ أكتوبر سنة ١٩٤١ش الموافق ١٠ فبراير سنة ١٤٧٨م واحتفل بجنازته ودفن فى بابليون الدرج فى أيام السلطان قيقباى.

البابا يوحنا الثانى عشر

(البطريك ٩٣)

١. اختياره للبطاريكية

بعد نياحة البابا ميخائيل الرابع خلا الكرسى البطريركى مدة سنتين وشهرين وثمانية أيام واجتمع الأساقفة بعد هذه المدة الطويلة مع أراخنة الشعب للإهتمام باختيار بطريك لرئاسة الكرسى الاسكندرى وطال البحث فى ذلك إلى أن اهتدى المجمع إلى اختيار الراهب حنا المحرقاوى الذى من نقاده وأقاموه بطريك باسم يوحنا الثانى عشر فى ٢٣ برموده سنة ١٩٦١ش الموافق ١٨ أبريل سنة ١٤٨٠م فى عهد الملك الأشرف قايتباى أبو النصر (كتاب تاريخ وجداول البطاركية ص ٩٤. وكتاب ١٥ تاريخ ص ٢٩٧ وذيل فوه ص ١٨٤) ويلاحظ أن سنته المتقدمة وردت خطأ فى الكتابين الأخيرين فقالت إنها سنة ١٩٥١ش وحقيقة سنة ١٩٦١.

حسب ما ذكره ابن كبر فى جدوله ص ٢٦٦ وابن الراهب ص ٢٤٣.

٢. مدة رئاسته

وقد أقام البابا يوحنا الثانى عشر على الكرسى البطريركى مدة ثلاثة سنوات وأربعة أشهر وستة عشر يوماً وعاصر السلطان قايتباى أبو النصر الأشرف.

٣. نياحة البابا يوحنا الثانى عشر

وفى يوم ٧ توت سنة ١٢٠٠ ش الموافق ٥ سبتمبر سنة ١٤٨٣م انتقل من هذا العالم الفانى البابا يوحنا الثانى عشر واحتفلت الامة بجنازته ودفن فى بابليون الدرج وظل الكرسى بعده خالياً مدة خمسة أشهر وخمسة أيام.

البابا يوأنس الثالث عشر

البطريرك (٩٤)

١. اختياره للبطريركية

وبعد نياحة البابا يوأنس الثاني عشر ببضعة أشهر اجتمع المجمع المقدس لانتخاب خليفة له فقر رأى المجمع وأراخنة الشعب على اختيار الراهب يوحنا بن المصري لرسامته بطريركا على الكرسي الاسكندرى وهو من بلدة صدفا بمديرية اليلوط ولم يذكر المؤرخون اسم الدير الذى ترہب فيه.

٢. رسامة الراهب يوحنا بن المصري بطريركا

وفي يوم الاحد الموافق ١٥ أمشير سنة ٢٠٠١ش الموافق ١٠ فبراير سنة ٤٨٤م تمت رسامة الراهب يوحنا بن المصري بطريركا باسم البابا يوأنس الثالث عشر في أيام الملك قايتباى أبو النصر الادشرف (تاریخ وجداول بطاركة الكرسى الاسكندرى ص ٩٤).

٣. علمه واحساناته

وكان هذا البابا رجلا فاضلاً وعالماً كبيراً وكان محسناً باراً وكانت صفاتة حتى على اليهود وكان لا يمسك على دنيا بل كان كلما يأتيه يجعله تحت فروة كانت له إلى أن يصرفه في الصدقات. ولهذا البابا مؤلفات كبيرة في الدين (ابن الراهب ص ٢٤٣).

٤. العلاقات مع الحبشة في عهده

وكانت العلاقات بين الحبشة ومصر في ذلك الحين مقطوعة بسبب تتابع إغارات ملوك مصر على بلاد الحبش و كان ملك الحبشة وقتئذ يدعى داود الثاني الذي تولى الملك من سنة ١٥٠٨م إلى ديسمبر سنة ١٥٤٠م. فسعى هذا الملك في عقد محالفه مع البرتغاليين الذين كانوا على مقربة من بلاده سعياً في الاستيلاء على الهند. فاجابوا طلبه ودخل كثير منهم بلاده وتوطنوها فيها مدة من الزمن.

وفيمما هم هناك لما رأوا ان المواصلات وال العلاقات بين الحبش وأقباط مصر معطلة كما تقدم القول وانهم يلقون بدون رئيس ديني طلبوا إلى الملك أن يلجمأ إلى بابا روميه كى يرسل له مطرانا من عنده. فوق اختيارة على رجل برتغالي يسمى يواز بارموذر كان طبيباً في الجيش فعينه مطرانا على الحبش وسماه بطريرك

الاسكندرية أيضاً. فعد القبط والروم هذا تعديا من البابا وانكروا عليه الحق في ذلك وابوا معرفة الشخص الذي عينه بأى الصفتين.

ويلاحظ من تصرفات بابا روميه فى أمر تعين هذا المطران البرتغالي بطريركاً على الاسكندرية ما يثبت كذب ما يدعى به مؤرخو الكاثوليك من أن الكنيسة القبطية كانت قد خضعت لسلطة البابا اذ لو كان ما يدعونه صحيحاً فما كان هناك موجب لتسمية بطريرك لها غير بطريركها القبطى أو انه كان يجب عن البابا عزله قبل تعين غيره وإذا لم يكن هناك داع لذلك فما سبب تسمية الرجل الذى عينه مطراناً على الحبس بطريرك الاسكندرية أيضاً (تاريخ الامة القبطية ليعقوب بك نخله ص ٢٤٥ و ٢٤٦).

٥. احضار جسد القديس مرقوريوس ابى سيفين إلى بيته بمصر

وفى عهد البابا يوانس الثالث عشر أحضر جسد القديس العظيم مرقوريوس أبى سيفين إلى البيعة المكرمة باسمه فى مصر بدرب البحر فى سنة ١٢٠٤ اش المعاقة ١٤٨٨م (كتاب ٤٨ تاريخ بالدار البطريركية).

٦. أسقفية جزيرة قبرص القبطية

وكان للكنيسة القبطية الارثوذوكسية أسقفية فى جزيرة قبرص ويقوم البابا القبطى الاسكندرى بسيادتهم. وما يذكر للبابا يوانس الثالث عشر أنه فى العشر الأول من ثوت سنة ١٢٢٢ اش المعاقة ٧ سبتمبر سنة ١٥١٥م قام باهداء كتاب الطب الروحانى إلى القمص بقطر الابن الروحى لأنبا إبرام أسقف جزيرة قبرص التى كانت لم تزل أسقفية قبطية وما زال هذا الكتاب موجوداً تحت رقم ١٠٦ قوانين بمكتبة دير السريان وعليه الإهداء.

٧. ورود بعثة حبشية لزيارة بيت المقدس

وفى أيام البابا يوانس الثالث عشر وسلطنة قانصوه الغورى قم إلى مصر فى سنة ١٢٣١ اش (١٥١٥م) من قيل ملك الحبشة داود الثاني أميران ومعهما هدايا ثمينة. فاحسن السلطان مقابلتهم وأكرم وفلاحتهم. وكان قدومهما فى أول برمهات أى فى منتصف الصوم الكبير حول يوم ٢٥ فبراير سنة ١٥١٥.

ثم بعد ذلك توجه الاميران إلى القدس الشريف لزيارة الأماكن المقدسة والتبرك منها وعادا من هناك وهم فى أحسن حال (كتاب الرسائل والكاثوليكون والابركسيس رقم ٢٢ مسلسلة و ١٦١ مقدسة بالدار البطريركية).

٨. استيلاه الدولة العثمانية على الديار المصرية

وفي أيام هذا البابا حدث تقلبات كثيرة في البلاد وتناول الحكم عدة سلاطين وكانت حالة الديار المصرية في عهدهم مزعزعة الأركان إلى أن قام السلطان سليم العثماني بمحاربة السلطان قنعوا الغوري سلطان مصر فلم يقو الغوري على وقف زحف الجيش العثماني فاضطر إلى الفرار وسقط من على جواده لشدة الإزدحام وذهب قتيلاً تحت أرجل الخيل في ٢٥ رجب سنة ٩٢٢هـ (أول النسيء منة ١٢٣٢ش الموافق ٢٤ أغسطس سنة ١٥١٦م) وكان السلطان قنعوا الغوري قبل مبارحته القاهرة استخلف عليها ابن أخيه طومان باي الذي بايعوه بعد ذلك الموقعة ولقبوه بالملك الأشرف طومان باي الثاني ولكن هذا السلطان لم يتمكن من إيقاف تيار الجيش العثماني الذي تمكن من فتح البلاد رغم ما أظهره طومان باي من البسالة والإقدام ووقعت حصون القلعة في أيديهم وفر طومان باي إلى الإسكندرية فاستحضره السلطان سليم مغلولاً وبعد عشرة أيام من وصوله أمر بشنقه وذلك في ربيع أول سنة ٩٢٣هـ (١٦ برموذه سنة ١٢٣٣ش الافق ١١ مليو سنة ١٥١٧م) فلقيوه تحت رواق باب زويله ثم دفنه.

وبقتل طومان باي انتهت دولة المماليك الشراكسة بعد أن تسلطاً عليها نحو ١٣٩ سنة وأصبحت من ذاك الحين إحدى الولايات العثمانية الكبيرة (تاريخ مصر الحديث جزء ٢٠ ص ٦٣ و ٦٤).

٩. آخر أيام البابا يوانس

أما البابا يوانس فقد استمر على الكرسي البطريركي مجاهداً في سبيل إعلاء قدر كنيسته مدة أربعين سنة إلا أربعة أيام أتم فيها الكثير من الاصلاح والتجديد والعديد من المؤلفات الدينية. ثم انتقل بسلام من هذا العالم الفاني في ١١ أمشير سنة ١٢٤٠ش الموافق ٥ فبراير سنة ١٥٢٤م وقد احتفلت الكنيسة بجنازته في كنيسة السيدة العذراء بحارة زويله وكان المقعم في التجنيز الأنبا غبرياً لاسقف منفلوط. وبعد الصلاة دفن في نفس الكنيسة تحت جسد الشهيد صليب (فوه ص ١٨٤م) واستمر كرهى الرئاسة بعده خالياً مدة سنة وسبعين شهر وخمسة وعشرين يوماً.

١٠. القديس صليب الشهيد في عبد البابا يوأنس الثالث عشر

ولد هذا الشهيد في بلدة هور مركز ملوى ب مديرية أسيوط وكان والده من الصناع الماهرين ولها منزلة بين أهل بلده وقد أحبه بآداب البيعة المقدسة كما علمه صناعته ليعارنه في عمله. ولما اشتاد عود هذا القديس فكر والده في اختيار زوجة له من أقاربه. وزوجاه رغم ارانته. فلم يعرف القديس إمرأته وظلا يتولين تحرسهما العناية الإلهية من كل رجم وعيوب (كتاب ميامر شهر كيهك ص ٧٣ و ٨٠).

وعقب زواج صليب هجر منزل والديه وصار يسبح في الجبال والبراري ويزور الأديرة والبيع ويسمع الكلام الإلهي ويعزى نفسه الطاهرة بعشرة القديسين والنساك المتعبدات. ولما عثر عليه أهله قتيلا بالحديد حتى لا يفارقهم. ولكنهم رأوا أن هذه القيد قد انحلت من قدميه وانفتحت أقفالها من نفسها بقوة السيد المسيح الحالة فيه لأنه ترك كل شيء في العالم وتبع سيده كقول الكتاب: "من أراد أن يتبعني فلينكر نفسه ويحمل صليبيه ويتبعني".

وكان صليب يواصل ليله ونهاره بالصلوات وكانت أمنيته الوحيدة التوسل لوالدة الإله القديسة مريم أن تعينه على نيل إكليل الشهادة على اسم ابنها الحبيب. ظهرت له العذراء الطاهرة في حلم وفهمته أن طلبته قد اجيبت وسيمال أمنيته وسيكون الملك الظاهر ميخائيل في حراسته. فتفقى صليب بالروح القدس. وكان لا ينفك شاهداً لاسم المسيح الصالح علينا أيامناه الوطيد بألوهيته وملكته. فاستهدف لغضب وحد جماعة من غير المؤمنين فقبضوا عليه وقدموه لمتولى الحكم في بلاد الصعيد لمحاكمته.

فانتهز القديسان هذه الفرصة الثمينة واعترف جهراً بآيمائه وتبعده للرب يسوع المسيح. فانهالت عليه الشتائم والاهانات واللطمات فتحملها هذا الشجاع بكل صبر واحتمال متضرر الجزاء السماوي (ص ٦٩).

وبعد اعترافه قيده القوم بقيود حديد ثم رجموه فلم يصبه شر لأن ملك الوب كان يحرسه كوعد القديسة مريم. ثم أودعه الحاكم في السجن وكان كلما وضع السجان القيد في رجليه كان يجده حرأ طليقاً.

وكان صليب يصرف ليه فى الصلاة. فتواجهه السيدة العذراء فى الرؤيا فى جلال من الضوء لفائق ضوء الشمس بهاء وتعزية قائلة: "اصبر يا صليب فإنه انتال إكليل الشهادة باسم الحبيب يسوع المسيح له المجد. وسيحوطك الملك لميخائيل برعايته إلى أن تكمل جهازك". فلما شاع هذا الحادث بين سكان السجن قر رأيهم أن يهربوا به من السجن فلم يوافقهم القديس على ذلك.

وبعد أيام أرسله قاضى الجهة إلى مصر مقيداً بالأغلال الحديدية مغفورة بقوة من الشرط. فلما ركب السفينة قابلته أمه وأخواته بالبكاء عندما رأته مقيداً كالأشرار والقتلة. ولما وقفن على تصميمه على اتمام شهادته ودعوه بقولهم: "تقرك السلام يا ولدنا الحبيب فاذكرنا عند المسيح هنا. الرب يكون معك ومعونة والدته القديسة مريم تشملك إلى أن تكمل سعيك وجهاك الحسن". ورجعن وهن يندبن على فراق ولدهن صليب.

كانت الرحلة النهرية شاقة صرفها القديس فى التسبيح والتقديس. وكانت السيدة العذراء تشرق عليه ليلاً بنورها البهى وتعزيه كما كان رئيس الملائكة الظاهر ميخائيل يحافظ عليه ويلازمه فى غربته (٩).

ولما وصلت السفينة إلى مصر أصاب صليب الكثير من العذابات التي لا توصف. وأخذه القائد إلى جماعة من المسيحيين المؤمنين وطلب منهم اجرة سفره لأن القديس لم يكن معه شئ من مال هذا العالم الزائل. فدفعوا له ما طلب بعدها علموا قضيته وطلبو من القديس أن يتناول خبزاً عندهم فلبى دعوتهم ونال من عطفهم ورعايتهم ماعزاه كثيراً في شدته الأمر الذي جعله يخاطبهم بقوله: "لقد تعبدتم معى وتتكلتم الكثير من أجلى فالرب يسوع المسيح يجازيكم بخيرات ملكوته الإلهية ولا يعوزكم شيئاً من خيرات الدنيا الفانية". (١١).

ثم توجه صليب بصحبة القائد إلى أهل مصر حيث كانت تقيم شقيقته وكانت سيدة مؤمنة. فلما رأته وعلمت بقضيته وعزمها على نيل إكليل الشهادة على اسم السيد المسيح أخذت تبكي وتتوسل إليه أن يعدل عن عزمها ليخلص من القيود والعذاب. فودعها وداعاً صامتاً. وقده حارسه إلى الحكم الذى فحص قضيته وأخذ يسألها بما جاء فيها من الاعتراف الجرى بيمانه وعقيدته. فامتلاً صليب قوة من الروح القدس واعترف الاعتراف الحسن بكل جسارة بأنه ليس إلاه فى السماء وعلى الأرض إلا يسوع المسيح فلما سمع الحكم منه ذلك قرر إرساله إلى الملك

وفي الصباح الباكر مثل الشهيد بين يدي الملك الأشرف فانصوه الغوري ممثلاً بالشجاعة والقوة. ولم يخش رهبة مجلس الحكم حيث العساكر والجيوش وأرباب الدولة والولاة كما أنه لم يتأثر من هيبة الملك. ولم يرعب قلبه من العذاب الذي توعد به. ثم خاطبه الملك قائلاً: أيها النصراني اتسمع ما يقوله عنك هؤلاء. اصنع لنصيحتي واترك دين أبيائك وأنا أسامحك". فاجاب القديس قائلاً: إن الذي يقولونه هو اعتراضي. فإني أقر علانية بأنني نصراني مؤمن بدين المسيح". فأرسله الملك إلى القضاة ليسمعوا كلامه ويحكموا عليه. وعرضت قضيته أمامهم. ولما سمعوا شهادة الشهود وسمعوا منه اعتراضه الصريح حكموا عليه بالاعدام واشهاره في أرض مصر وشوارعها مكبلاً بالحديد (١٤ أو ١٢).

فاحضر الأمير الذي كلف بتنفيذ الحكم جملًا وأمر أن يضعوا عليه القديس مصلوباً على صليب خشبي، وأخذوا يطوفون به في المدينة وينادون أمامه بجريمه. وكان صليب يقابل كل ذلك بصبر عجيب متهلاً لما ناله من العذاب على اسم ربنا يسوع المسيح. وكان وجهه مضيئاً لأمثاله من نعم الله وعونته. وما شمله به سيده المسيح من النعمة التي خولته تحقيق أمنيته وهي استشهاده على اسمه القدس (ص ١٤).

ولما وصلوا إلى ساحة تنفيذ الحكم كان السيف واقفاً في انتظاره يحمل سيفاً مسلولاً والج茅ع محشدة لرؤيته وقت قطع رأسه. ولكن القديس لم يتأثر من هذا المنظر المرعب كما لم يخش الموت وروعته. فسأله القاضي عما إذا كان يود الترجوع عن رأيه لينال العفو وإطلاق صراحه فأجابه بأنه عاش نصرانياً ويموت نصرانياً ولن يترك ربه ومخلصه يسوع المسيح. فأمر القاضي بقطع رأسه فضرب السيف عنقه بحد السيف في الساعة السابعة من يوم الاثنين المبارك الثالث من شهر كييك سنة ١٢٢٩ (ص ١٥) ونال إكليل الشهادة.

وكان استشهاده في يوم عيد تذكر تخول سينتنا العذراء إلى البهيل، وكان ضرب عنقه أمام المدرسة التجوية الصالحية التي بناها الملك الصالح نجم الدين بخط بين القصرين بجوار منية الصالح بالجمالية بالقاهرة المعزية (كتاب الميرون رقم ١٠٦ طقس بمكتبة الدار البطريركية).

أبرشيات الخمس المدن الغربية في أوائل الجيل السادس عشر

إن الخمس المدن الغربية كانت من أهم المراكز المسيحية التابعة للكرسى الإسكندرى وكانت أبرشياتها عامرة تشغلهما الأساقفة حتى قبيل الفتح العثمانى للديار المصرية.

وكان آخر أسقف سيم لهذه البلاد موجوداً في تلك الديار في أيام الفتح العثمانى. ويستفاد مما كتبه البابا يواں الثالث عشر البطريرك (٩٤) في طرس للبركة الصادر منه بتاريخ يوم الاثنين الموافق ٢٩ كييهك سنة ١٢٥١ش الذي يقابلة بالتاريخ الميلادى الغربى سنة ١٥٠٨م أن كرسى الخمس المدن الغربية كان ضمن الكراسى التى لم يتمكن أصحابها من الذهاب إليها وتركوها فى مستهل الجيل السادس عشر للميلاد وكان يشغل هذا الكرسى قرياقص مطران الخمس مدن الغربية واعتقى من خدمته لحوادث طارئه أيام أن احتل العثمانيون هذه البلاد وهجر كرسيه وقام في جبل شيهات معتزاً الحياة ودعى اسمه ساويرس ولهم مؤلفات في دير السريان الذى اتخذه مهلاً لإقامته (مقال العلامه جرجس فيلوثاوس عرض في مجلة الحياة ص ٢٢٩ و ٢٣٠ سنة ١٩٤١).

أحوال القبط

في الجيل الخامس عشر الميلادى

١. موجز تاريخي لسلطانين مصر في هذا الجيل

قامت دولة المماليك الشراكسة التي أسسها السلطان برقوق منذ سنة ١٣٨٢ ميلادية إلى سنة ١٥١٧ ميلادية وقد تقدم ذكر حوادث القبط في أول عهد حكم هذه الدولة في تاريخ البابا متاؤس الأول البطريرك (٨٧).

ونذكر الآن حوادث التي وقعت بالقبط في عصر البطاركة البابا غريال الخامس البطريرك (٨٨) والبابا يواں الحادى عشر البطريرك (٨٩) والبابا متاؤس الثاني البطريرك (٩٠) والبابا غريال السادس البطريرك (٩١) والبابا ميخائيل الرابع البطريرك (٩٢) والبابا يوحنا الثاني عشر البطريرك (٩٣) والبابا يوحنا الثالث عشر البطريرك (٩٤) أي منذ أيام السلطان الناصر فرج بن برقوق

إلى أيام السلطان الأشرف طومان باي أى مدة حكم دولة المماليك الشراكسة فقد تولى السلطان فرج بن برقوق بعد أبيه السلطان برقوق وقد ذاق القبط في أيامه مر العذاب على يد الأمير سودون الذي قاوم اضطهاده البابا متأوس الأول في آخر أيامه بشجاعة وجرأة حتى إمتلاً الأمير خوفاً من تهديدات البابا له بالإستعنة بملوك النصارى في العالم حتى تعجب الشعب من قوة دفاع البابا المنكور وسداد رأيه وبقائه وسهره على شعب الله وقدم الشكر لله تعالى على خلاصهم من شدة هذه التجارب والمحن (نيل ابن المقفع كتاب ١٥ ص ٢٨٦ و ٢٨٧ و نيل فوه ص ١٧٣ و ١٧٤).

وقد كانت نهاية السلطان فرج الحكم عليه بالاعدام في ٢٥ محرم سنة ٨١٥ هـ الموافق (١٢٨١ شمس سنة ١٢٨١ش و ٧ مايو سنة ١٤١٢م) وأصبحت بعده السلطة بيد الإمام المستعين بالله الذي لم تطل أيامه قلّم تتعدّد سنة ١٤١٢ الميلادية حيث قام أحد أمراء المماليك المدعو أبو نصر الملقب بالشيخ محمودي الظاهري واستلم زمام الحكم ونفي المستعين بالله إلى الاسكندرية وأصبح يلقب بالسلطان الشيخ محمودي وظل في الحكم إلى سنة ١٤٢١ ميلادية واقيم بعده على كرسى السلطنة المصرية ولده شهاب الدين أحمد الملقب بالملك المظفر في سنة ١٤٢١ ميلادية ثم تخلى عن الملك لوصيه وحميه سيف الدين نتر الملك الملقب بالملك الظاهر ولكن هذا الأخير توفي في نفس السنة المذكورة وفُويح ابنه ناصر الدين محمد ولقب بالملك الصالح وبعد أربعة أشهر خلفه وصييه سيف الدين برساوى قضى باقي حياته في الشقاء وتولى السلطنة بعده برساوى ولقب بالملك الأشرف برساوى في ٨ ربیع آخر سنة ٨٢٥ هـ (آبرموده سنة ١٣٨١ش وأول أبريل سنة ١٤٢٢م) وبعد أن حكم مدة ١٧ سنة و ٨ شهور و ٦ أيام قضى يوم السبت في ١٣ ذى الحجة سنة ٨٤١ هـ (١٣ بؤونة سنة ١٥٤١ش و ٧ يونيو سنة ١٤٣٨م). فُويح ابنه جمال الدين يوسف الملقب بأبي المحسان ولقب بالملك العزيز وبعد ثلاثة أشهر من مبايعته تخاصم مماليكه وسيف الدين جقمق اتسابك جشه خصاماً انتهى بعزله ومباعية جقمق في ١٩ ربیع أول سنة ٨٤٢ هـ (٢ أكتوبر سنة ١٣٥٥ش ٩ سبتمبر سنة ١٤٣٨م) باسم الملك الظاهر جقمق وظل في الحكم من سنة ٨٤٢ إلى سنة ٨٥٧ هـ (من سنة ١٤٣٨م إلى ١٤٥٣م) حيث تنازل عن السلطنة لابنه فخر الدين عثمان. فُويح فخر الدين ولقب بالملك المنصور ولكنه لم

يلبت سنة ١٤٥٣ م التي تولى فيها حيث خلع وتولى بعده الملك الأشرف إينال من سنة ٨٥٧ هـ - ١٤٥٢ م (١٤٦٠ م إلى ١٤٥٣ م) وبعد وفاته في يوم الخميس ١٥ جمادى الأولى سنة ٨٦٥ هـ (٢٧ فبراير سنة ١١٧٧ ش و ٢٧ فبراير سنة ١٤٦٠ م) تولى بعده ابنه شهاب الدين أحمد الملقب بأبي الفتح باسم السلطان المؤيد أحمد بن إينال ولكنه لم يحكم سوى أربعة أشهر وتولى بعده السلطان خوش قدم المعروف بالناصرى باسم السلطان الظاهر وتولى الحكم من سنة ٨٦٥ هـ إلى سنة ٨٧٢ هـ (١٤٦١ ميلادية إلى ١٤٦٧ م) وتوفي في ١٠ ربيع أول سنة ٨٧٢ هـ (١١٨٤ ش ٨ أكتوبر سنة ١٤٦٧ م) ثم تولى بعده الملك الظاهر بلياً وخلع بعد ٦٦ يوماً من توليته وأقاموا بعده الأمير أبا سعيد تماريوجا ولقبوه بالملك الظاهر تماريوجا وخلع بعد شهرین ثم تولى بعده السلطنة الملك الأشرف قايتباي وكان من مماليك جمجم وظل في الحكم من سنة ١٤٦٧ إلى سنة ١٤٩٥ م حيث توفي في ٢٢ ذى القعدة سنة ٩٠١ هـ (٩ مسري سنة ١٢١٢ ش و ٢ أغسطس سنة ١٤٩٥ م).

وبعد وفاته تولى السلطنة على التوالي في المدة من سنة ١٤٩٥ م إلى ١٥٠١ م خمسة سلاطين آخرهم الملك العادل طومان باي ثم تولى بعدهم السلطان قنسوا الغورى من سنة ١٤٠١ م إلى ١٤١٦ م ولما مات قتيلاً أثناء محاربته الجيوش العثمانية تولى بعده ابن أخيه طومان باي ولقبوه بالملك الأشرف طومان باي وحارب العثمانيين وانكسر وقبض عليه السلطان سليم وأمر بشنقه في ١٩ ربيع أول سنة ٩٣٢ هـ (١٦ برموده سنة ١٢٣٣ ش و ١١ أبريل سنة ١٥١٧ م) فلقى وفاته تحت رواق باب زويله.

وبقتل طومان باي انتهت دولة المماليك الشراكسة أو البرجية التي أسسها السلطان برقوق وتسلطت نحو ١٣٩ سنة ومن ذلك الحين أصبحت مصر إحدى الولايات العثمانية الكبيرة.

٢. حالة القبط في عهد دولة المماليك الشراكسة

ما انتهى الجيل الرابع عشر بمصاببه التي حلّت بالقبط وباقى نصارى مصر واليهود هل الجيل الخامس عشر بتجدد هذا الاضطهاد كما تقدم ذكر مقتطفات من حوارته في تواریخ البطاركة المتقدم ذكرها.

وقد اضرت حوادث الاضطهاد كثيراً بالمسلمين والنصارى ولم يخل الحال من وجود توافق واتفاق سوى على إيقاع الضرر بالنصارى قامت دسائس المماليك على إيثاره لأنهم كانوا يحسدون القبط على ما بين أيديهم من أعمال الدولة وما لهم من النفوذ في الدواوين فاستعانتوا على تنفيذ مآربهم بالأوباش الذين كانوا في ضنك بسبب مظالم الحكم (تاريخ الأمة القبطية ص ٢٣٦).

ولما علم ملك الأحباش بما حل بنصارى مصر أرسل رسولاً بكتاب إلى السلطان يعاقبه فيه على هدم الكنائس وقتل الأبرياء وينكره بالمعاهدات التي بين سلفائه وملوك مصر السالفين وطلب إليه أن يعيد بناء الكنائس التي خربت والأيام كل جوامع المسلمين التي ببلاده. ولكن السلطان الناصر صرف الرسول بغير جواب غير أنه لما هدأت الحال وعاد النظام لم يفت السلطان مصالحة أفكار النصارى بأن صرخ لهم ببناء بعض الكنائس التي هدمت وذلك بناء على طلبهم ذلك منه على شرط أن لا يوسعوا فيها أو يزيدوا عليها شيئاً مما كانت عليه قبل الهم غير أن بعضها هدم بعد تمام عمارتها بدعوى أنها لم تبن على حالتها القديمة وأنهم زادوا في زخرفتها وإعلاء بنائها (تاريخ الأمة القبطية ص ٢٣٧).

وبعد عزل الملك الناصر فرج تولى بعده أخيه السلطان عز الدين عبد العزيز سنة ١٤٥١م وبعد شهرين من توليه عزل وتولى بعده ثانياً السلطان الناصر فرج إلى أن خلع من السلطنة في سنة ١٤١٢م وقتل وتولى بعده خمسة سلاطين حتى سنة ١٤٣٨م ووقعت البلاد في أثناء هذه المدة في الفوضى بسبب قتال المماليك مع بعضهم ومحاولة كل فريق منهم الإستيلاء على البلاد والاستقلال بها أما أعمال الحكومة ودوارتها فكانت في قبضة يد الموظفين المصريين من النصارى الذين أسلموا والباقين على دينهم فقاموا بها أحسن قيام ولذا راجت حال النصارى وتمتعوا بمالهم من الحقوق الوطنية بمساواتهم بالمسلمين فعادوا إلى النظاهر والتجمل باللباس والتأنق في المأكلي وركوب جياد الخيل واتخاذ الخدم وشراء العبيد والجواري (تاريخ الأمة القبطية ص ٢٣٩ و ٢٤٠).

وفي أيام السلطان الأشرف برسباي الملك السادس بعد سلطنة الناصر فرج الأول رزئت البلاد في سنة ١٤٢٩م وباء يسمى الموت الأسود ففتاك بأهلها فتكا ذريعاً واستأصل عائلات كثيرة وإن لم يبق منها أحد كان نائب السلطان وغيره من الأمراء المماليك يستولون على متروكاتهم وأملاكهم مسلمين كانوا أو نصارى

حتى اليهود وقال المقريزى فى خططه أن وطأة هذا الوباء كانت شديدة جداً حيث هلك به فى مدينة مصر وحدها فى يوم واحد خمسة عشر ألف نفس فكان هذا الوباء مصيبة أخرى على مصر وأهلها وقد عاود هذا الوباء الظهور فى مصر فى أيام ابن السلطان الأشرف الملك العزيز يوسف فى سنة ١٤٣٨م وكان وباء عظيمأ أيضاً فتك بالناس فتكا مريراً (ال توفيقات الالهامية ص ٤١٧ و ٤٢١) وتاريخ الأمة القبطية ص ٢٤٠).

وقد اختل النظام فى البلاد وفشل حال الرعية فى أيام المماليك الشراكسة المقدم ذكرهم فتم على يدهم خراب البلاد وعم الشقاء جميع الرعية ونقص عدد المصريين نقصاً بيئياً بسبب هذه البلايا والطاعون والأوبئة والغلاء والقطط المستمر .

أما عدد الأقباط فنقص كثيراً جداً بسبب مظالم الحكام والآفات الربانية من جهة وإقبال الكثير منهم على الإسلام إما طوعاً وإما كرهاً.

ولما كثُر الإسلام بين القبط نفر المسلمون منهم لأنهم كانوا يزاحمونهم في الوظائف الإدارية العالية فبغضوهم وهكذا لم يقدروا أن يرضوهم سواء أسلمو أو بقوا على دينهم ولذا آثر بعض القبط منهم الموت على هذه العيشة المررة وقيل أن كثيراً من سكان الأرياف أتوا إلى مصر ذات يوم ودخلوها بضجة عظيمة منادين على رؤوس الأشهاد إنهم عادوا إلى دينهم القديم وأنهم لا يتحولون عنه ولو قطعت رقابهم فقبضوا على أكثرهم وقتلوهم وقبضوا أيضاً على بعض النساء واشتكى عليهن بذلك فأمر القاضي بقطع أعناقهن. فاستباح الناس حتى المسلمين هذا الحكم وغيروا القاضي به.

وادعى أيضاً على آخر بأن جده كان أسلم وسمى بعلم الدين حصلت بينه وبين أحد الأمراء مناقسة فادعى عليه بشهادة بعض الشهود الكاثوليك أنه يدعى الإسلام وهو لا يزال باقياً على نصرانيته وزوجته باقية على دين النصارى ولم يتركها أو يكرهها على الإسلام واستفتي العلماء فاقتفوا بان من كانت هذه حالة فإنه يستحق الحرق لا محالة. فقبضوا عليه وصاروا يعنونه حتى مات. وكان ذا ثروة طائلة فاستولوا على كل ماله ونهبوا داره وأحضاروا زوجته وصاروا يضربونها بالسياط أمامه حتى ماتت وقتلت ابنه أيضاً قبل موته (تاريخ الأمة القبطية ص ٢٤١ و ٢٤٢).

واكتشف سلاطين المماليك خلال هذه المدة اهتمام الاحباش بعقد محالفه مع ملوك الافرنج لغرض محاربة المسلمين وتخلص مصر وسوريا من يدهم وذلك بأن الاحباش يهاجمونهم برأ والافرنج بحراً. وكان الذي أخذ على عهده إتمام هذه المعاهدة للسورية رجل تاجر نصراني تزريا بزى مسلم وخرج من بلاد الحبش ووصل إلى مصر ومنها ألقع إلى بلاد الافرنج. وبعد أن تم الاتفاق مع ملوكها على الكيفية التي افترضها ملك الحبشة بأن يكون منقوشاً على ثياب العسكر سواء كانوا من الافرنج أو الاحباش اسم ملك الحبش "هاتى" أفل عائداً إلى مصر قاصداً البلاد التي خرج منها. ولكن لدى وصوله إلى ميناء الاسكندرية أفشى سره عبد أسود كان معه فهجم حاكم المدينة على المركب الذي كان فيه وفتشه فوجد معه الثياب وبعض الاسلحه كما قال العبد فقبض عليه واعتقله وأرسله إلى السلطان في القاهرة فاقتى العلماء والقاضي بقتله فاركبوه على جمل وطافوا به شوارع القاهرة ومصر وبولاق وأمامه مناد ينادي قائلاً: "هذا جزاء كل خائن منافق يتلاعب بالأديان". وبعد ذلك ضرب عنقه بالسيف بحضور جمع غير من الناس (الامة القبطية ص ٢٤٣ و ٢٤٢).

أما الأقباط الذين قد علمتهم التجارب ولا سيما ما الحقهم من الحروب الصليبية وما جرى لهم من الافرنج فاستعملوا الحزم والحكمة بأن قطعوا علاقاتهم مع الحبش بسبب هذه الحادثة وظللت معطلة مدة من الزمن حتى كانت الأمتان تتفصلان عن بعضهما بسائس البرتغاليين المسيطرین على الحبشة وقتذ ولكن الله لطف بأمته وتغيرت الاحوال وعادت العلاقات بينها وبين الحبشة إلى ما كانت عليه حتى الآن.

وفي سنة ١٤٨٤ هـ جم عرب الوجه القبلي على بيرى أنطونيوس وبولا وقتلوا جميع من فيهما من الرهبان وبقيا خرابة نحو من ثمانين سنة وكان فيهما مكتباتاً عظيمتان تحتويان على عدد عظيم من الكتب القديمة الثمينة فجمعها العرب وأحرقوها عن آخرها ولم يبق منها إلا ما خفى عن عيونهم (تاريخ الأمة القبطية ليعقوب بك نخله ص ٢٤٣ و ٢٤٤).

البابا غريمال السابع

البطيريك (٩٥)

١. عائلته وموطنه ورقبته

كان يعرف بابن مهنا من منشية أبو عيسى التي هي بجانب المحرق وكان والده القمص جرجس رفائيل خاتم بيعة الشهيد مرقوليوس أبي سيفين بمصر وترهب بدير السيدة المعروفة بدير السريان باسم الراهب رفائيل (ذيل فوه ص ١٨٤٠ وابن الراهب ص ٢٤٣٠).

٢. اختياره للبطيريكية

وظل كرسى البطيريكية خالياً مدة تقارب من سنة وثمانية شهور ثم اجتمع الآباء الأساقفة مع أراخنة الشعب لاختيار أحد رهبان الأديرة ليكون بطيريكاً فقو رأى جميعهم بعد بحث طويل على اختيار الراهب القمص رفائيل ليكون بطيريكاً (كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٩٧٠ وابن الراهب ص ٢٤٣٠ وذيل فوه ص ١٨٤٠).

٣. إقامة البابا غريمال السابع بطيريك

وقد تمت رسمة الراهب رفائيل جرجس بطيريكاً باسم البابا غريمال السابع للبطيريك (٩٥) في يوم الأحد المبارك ٤ بابه سنة ١٢٤٢ اش الموافق أول أكتوبر سنة ١٥٢٥ في أيام السلطان المظفر سليمان ابن عثمان وكان المتولى بمصر أحمد باشا الوالي (ابن الراهب ص ٢٤٣٠ وذيل فوه ص ١٨٤٠).

٤. أعماله مدة البطيريكية

بذل هذا البابا مجده نحو عمار الأديرة الشرقية أي دير الأنبا أنطونيوس ودير الأنبا بولا بالعربة ودير الميمون كما وجه همه أيضاً إلى عماره الأوقاف. كما قام بتعمير قصر دير المحرق والقلالي والسور. وكان أهل مصر يتهمنه ظلماً بجمع المال مع أنه كان يبذل جهوده في جمعه للقيام بصيانة أبنية الأديرة وعمارتها والأوقاف الأخرى والبيع والكنائس.

وقد عاد دير الأنبا بولا إلى خرابه في أثناء رئاسة هذا البابا إذ سطا عليه عربان بنى عطية ونهبوا وشنقا فيه أحد الرهبان وأخنوا أواني البيعة وتركوا الدير خرباً خالياً من الرهبان فحزن جداً البابا عليه واهتم به ثانياً وعمره لأنه كان شديد الغيرة على عماره الأديرة.

وكان لهذا البابا مركزاً كبيراً بين شعبه كما كانت له سطوة فائقة الحد على جميع النصارى (ابن الراهب ص ٢٤٣ أ و ٢٤٤ و كتاب ٣٩١ طقس بدير أنطونيوس).

٥. عودة أثيوبيا إلى أحضان الكنيسة المرقسية

لما تبع الملك داود الثاني في ٢ سبتمبر سنة ١٥٤٠ ميلادية الذي كان سبباً في الانشقاق الذي حصل بين الكنيستين الأثيوبية والإسكندرية قام مكانه ابنه المبارك أقليوبيوس المعروف باسم سجاد الأول فاعطاً كرسي مملكة الحبشة في سنة ١٥٤٠ م.

وكانت باكورة أعمال الملك أقليوبيوس أنه أوقف البطريرك البرتغالي يواز بارموديز عند حده وأعلنه أنه إذا أراد البقاء في بلاد الحبشة فلا يعتبر نفسه أكثر من ضيف واجب إكرامه لأنه لا يريد أن يكون خاضعاً لغير بطريرك الأقباط ولا تابعاً لغير كنيسته.

وأرسل هذا الملك الأرثوذكسي الغيور في الحال وفداً من قلته إلى غبطبة البابا غبرياً السابع البطريرك (٩٥) وطلب إليه أن يرسل له مطراناً فوق اختيار البابا لهذا المركز الدينى السامي على رجل يسمى يوسف باسم المطران يوساب الثالث في سنة ١٥٤٧ م (شين ص ٢٦٨).

وبعد رحمة الأنبا يوساب الثالث بارح القطر المصري مع الوفد الحبشي والحاشية الخاصة به قاصداً كرسيه ولما وصل قابله جلالة الملك أقليوبيوس ورعايته بإكرام زائد وانشراح خاطر وهكذا عادت العلاقات بين الأقباط والحبش إلى ما كانت عليه قبلًا بعد أن تعطلت نحو ثمانين سنة. أما المطران اللاتيني فلما رأى تزعزع مركزه الدينى وأنه أصبح وحيداً عاد إلى بلاده وبقي بها حتى مات. ويصف المؤرخون أقليوبيوس هذا بالشجاعة والبسالة وقيل أنه لما أحس بأن المسلمين قدموه لمحاربته خرج من بلاده لمقاتلتهم ولما دار القتال بينه وبينهم انذعر عساكره من شدة نيران العدو فتركوه وولوا الأسبار ولم يبق معه إلا عشرين نفراً من خيالاته وثمانين عشر جندياً من البرتغاليين فصاروا يقاتلون حتى هلكوا عن آخرهم فقط المسلمون رأسه وأخذوه وعلقوه وبقي معلقاً نحو ثلاثة سنين حتى اشتراه رجل تاجر أرمني من إيطاكية وأخذه ونفه بالإكرام اللائق (تاريخ الأمة القبطية ليعقوب بك نخله ص ٢٤٦ و ٢٤٧).

٦. تحويل نظر بابا رومي إلى ضم أقباط مصر

ولما خابت مساعي ملك القسطنطينية يوحنا الثامن كما سبق ذكره في إيجاد الاتحاد بين الروم واللاتين حول بابا رومية نظره إلى ضم أقباط مصر إليه. ولما رأى أنهم يقايسون من المسلمين العذاب أشكالاً ولا سيما منذ خضعت مصر لملوك آل عثمان فان الولاة كانوا يفضلون الروم عليهم اتخاذ ذلك فرصة مناسبة لاخضاعهم لرئاسته وجعلهم تحت حمايته (تاریخ الأمة القبطية ص ٢٤٧). فأرسل رسلاً إلى البابا غبریال يطلب إليه انضمام الكنيسة القبطية للكنيسة اللاتينية فقابلهم البابا غبریال بكل لطف وأعلمهم بكل تأدب في الحديث أنه لا ينحرف قيد شعره عن التمسك بعقائد وطقوس كنيسته المقدسة فالتمس منه رسلاً أسقف رومية بما له من النفوذ على بلاد الجيش أن يطلب من ملوكها أن لا يمس الكاهنون الرومانيين بسوء فسمح لها الملك بالإقامة في بلاده إكراماً لخاطر البطريرك. ولكنهما لم يحسنا سيرهما وانتشرت رداعتهما فسخط عليهما الأقباط وكادوا يقتلونهما فقدمَا تقريراً للأسقف الروماني يقولان فيه أن الجبعة لا ترتد عن إيمانها إلا بقوة السيف فاستدعاهما البابا الروماني إليه وتم بذلك خذلان بابا رومية في جنب الجبعة إليه (تاریخ الكنيسة للقمص منسي ص ٦٠٨).

٧. مدة إقامته على الكرسي الرسولي

وأقام البابا غبریال على الكرسي الرسولي مدة ثلاثة وأربعين سنة وخمسة وعشرين يوماً ثم تبع في يوم الثلاثاء المبارك ٢٩ بابه سنة ١٢٨٥ الموافق ٢٦ أكتوبر سنة ١٥٦٨م وكان سبب نياحته أن السلطان فرض على جميع التجار والخواجات واليهود ومن جملتهم النصارى ألفين دينار بسبب سفر الجيش المتوجه به سنان باشا الوزير العثماني فتوجه البابا حزيناً وهارباً من شره إلى دير القديس أنطونيوس بالميمون فعند وصوله إلى الميمون نزل المعدية فمات فيها. ولما تبع لم يجدوا عنده شيئاً من المال غير ما يتعلّق بالبطريركية (ابن الراهب ص ٢٤٣ - ٢٤٤ وكتاب ٣٩١ طقس بدیر أنطونيوس).

٨. نياحته وتخليد ذكراه بكنيسة القديس أنطونيوس

وقد سجل مجمع دير آبآ أنطونيوس ذكرى وفاة البابا غبریال السابع على حائط كنيسة آبآ أنطونيوس تحت صورة القديسين آبآ أنطونيوس وأنبأ بولا بالجملة الآتية:

ولما كان بتاريخ يوم الثلاثاء المبارك تاسع عشرين بابه المبارك سنة ألف ومائتين وخمسة وثمانون للشهداء الأطهار رزقنا رب ببركاتهم تتبع السيد الأب البطريرك العظيم في البطاركة أبا غبرياً الخامس والسبعين في عدد الآباء البطاركة بكرسي مرقس وكانت نياحته في أحضان رهبان هذا الدير المقدس التحتاني على شاطئ البحر لقوة عزيمته الظاهرة ونقل جسده الظاهر إلى مصر المحروسة في ٢٥ هاتور سنة تاريخه أعلاه وجنزنه في بيعة الشهيد العظيم مرقوريوس بمصر ودفن بها في مقبرة جديدة تحت جسد مرقوريوس. وأما عدة الكهنة والأساقفة الذين حضروا تجنيزه ثانية خمسة وثمانون كانوا وأما الشعب فلا يحصى عددهم. وأقام هذا الأب المكرم على الكرسي المرقسي ثلاثة وأربعين سنة وكسر. ورعى شعب الله أحسن رعاية. وكان ذا اجتهد بلية في عمارة الديارة والكنائس وترميمها وتشييدها ومن جملتها هذا المجمع المقدس المعروف بدير للعربية سكن أبيينا العظيم أنطونيوس فإنه هو الذي فتحه في أيامه. عمره الله بالدואم. وجعل اليمن والكثرة فيمن يحويه من الرهبان بعد أن كان له مدة مستطيلة خراب لم يقدر أحد على فتحه وعمارته غير هذا الأب وضاده عن الخير عدة مرار في خرابه وللدير سبحانه لم يتم أمر العدو في ذلك.

وتتبع هذا الأب وهو عامر بالرهبان وكان في هذا الدير أكثر الأيام الرب الإله سبحانه يعمر هذا الدير المقدس بطلباته إلى النفس الأخير وينتح نفسه في فردوس للتعميم ويرحم كتبه بصلاته آمين والشكر لله دايماً. وقام مجمع هذا الديو بتسجيل هذه الذكرى أيضاً في كتاب رقم ٣٩١ طعن المحفوظ بمكتبه.

ولم يكتف بذلك مجمع الدير بل قام بتأليد ذكرى هذا البابا الجليل في كتب مكتبة الدير فجاء في آخر كتاب رقم (٢٠٩) لاهوت الحاشية الآتية:

ولما كان تاريخ يوم الثلاثاء المبارك ٢٩ بابه المبارك سنة ١٢٨٥ اش تتبع السيد الأب البطريرك العظيم في البطاركة أبا غبرياً (٩٥) في عدد الآباء البطاركة وانتقلت نفسه الظاهرة إلى مساكن الأبرار في محل الأنوار بعد أن أقام على الكرسي المرقسي ٤٣ سنة وكسر. والشهر الذي تكرز فيه "أرشى أروس" تتبع فيه أيضاً.

* أرشى أروس: كلمة قبطية تعني رئيس الكهنة.

وكان هذا الأب طويل القامة ومتعدل الخلقه وروح القدس حالي عليه وكان له اجتهاد بلين في الصلاة والصوم والنسك التغيل مع الاجتهاد البلين البشري في عمارة الديوره وتشييدها اتم غاية وكان له بهم فرحا زابدا وفاسى شابدا من قبلها وفرحا عظيما من أجل ثباتها . وفتح في زمانه دير القديس الظاهر العظيم أبا أنطونيوس بالعربية وعمره عمارة حسنة الروحانية والجسدانية . وكذلك دير القديس العظيم أبا بولا فوقا منه . وعمر دير القديس العظيم أنطونيوس المعروف بدير الجميرة سكن أنطونيوس . أولا عمارة جديدة تعجز عنها طاقة البشر . وتتيح في أحضان آبائنا القديسين ليراهيم واسحق ويعقوب في فردوس النعيم ويرعنانا رب بطلباته ويخلصنا من خطيانا بصلاته ويفتح لنا أبواب رحمته .

البابا يوانس الرابع عشر

البطيريك (٩٦)

الشهير بالمنفلوطى

أ، موطنه ورهبنته

أصل هذا البابا من بلدة منفلوط بالصعيد وترهب في دير السيدة العذراء بالبراموس ببرية شيهات .

١. اختباره للبطيريكية

لما طالت مدة خلو الكرسي للبطيريك حيث وصلت إلى ما يقرب من سنتين ونصف وفك الآباء الأساقفة وأراخنة الشعب في الإسراع باختيار بطيريك يصلح لتولى كرسي الكرازة المرقسية .

وبعد البحث الطويل وقع اختيار المجمع على الراهب يوحنا المنفلوطى .

٢، رسالته بطريركا

وقام المجمع المقدس في صبيحة يوم الأحد المبارك ٢٢ برمودة سنة ١٤٨٧ الموافق ١٧ أبريل سنة ١٥٧١م برسامته باسم البابا يوانس الرابع عشر البطيريك (٩٦). (كتاب تاريخ وجداول البطاركة ص ٩٤).

٤، أعماله

وانخذ البابا يوانس الرابع عشر شعاراً لتوقيعاته على المراسيم والكتابات الجملة الآتية: "اللهى بالله الهادي" وتحتها "الخلاص للرب يا الله الخلاص". وقد ورثت

في توقيعه على كتاب "مكاتب كيرلس بن لقى" المحفوظ بمكتبة الدار البطريركية رقم ٢٩١ لاهوت.

وقد قام هذا البابا بزيارة شعبه في صعيد مصر عندما ألم به السلطان مراد بجزية للنصارى فبذل جهده في تحصيلها وكان يعاونه في هذه الرحلة الراهب فيليب الذي من ذين المحرق. ولم يخرج أحد من النصارى عن القيام بمعاونته في جمع رسوم الجزية المطلوبة منه (نيل ابن الراهب ص ٢٤٤).

وقد توجه إلى زيارة أولاده في الصعيد دفعته غير الأولى بسبب مضائقات وزراء الدولة المتولين على مصر.

٥. إلزام النصارى واليهود باستعمال زى خاص على الرأس

وفي أيام رئاسته أصدرت الدولة مرسوماً بتغيير لون عمامات النصارى وجعلها سوداء اللون كما ألمت اليهود بلبس الطراطير (نيل ابن الراهب ص ٢٤٤).

٦. تعييز ولاة مصر بين الروم ونصارى مصر

وكان الولاة المعينين من قبل الدولة العلية العثمانية على مصر يفضلون في معاملتهم الروم عليهم وقد رأى بابا رومية فرصة هذه المعاملة لضم المصريين النصارى تحت لواء كنيسته و يجعلهم يتمتعون بحمايته ولكن فشل في ذلك لأن القبط فضلوا استقلالهم مع سوء المعاملة على استغلالهم تحت لواء البابوية.

٧. تجديد المساعي لضم الكنيسة القبطية

وفي سنة ١٥٨٣ ميلادية حضر إلى مصر وقد من قبل البابا غريغوريوس الثالث عشر مؤلف من أكثر من واحد من علماء الكلروروس ونزلوا ضيوفاً بالدار البطريركية في عهد البابا يوانس الرابع عشر فاحسن ضيافتهم وبالغ في إكرامهم وكان شيئاً متواضعاً محباً للسلام والمسالمه وما زالوا حتى أقتفوه بأن انحيازه إلى كنيسة رومية يعود على أبناء طائفته بالخير العميم فضلاً عن كون البابا لا يطمع في شيء سوى الاعتراف له بالرئاسة العمومية على الكنيسة المسيحية وإن هذا ليس بشيء في جانب القوائد التي تعود عليه وعلى أبناء طائفته. أما هو فيبقى بطريركاً على جميع الأمة كما هو بدون نقص شيء من كرامته أو سلطنته (تاریخ الأمة القبطية لیعقوب بک نخله روڤلہ ص ٢٤٨).

ومن شدة تأثير البعثة البابوية على البابا يوانس ولظروفه كبير سنه والاضطهاد الذي يراه من قبل الولاية قبل هذا البابا مبدئياً فكرة الاتحاد وكتب بذلك

البابا الروماني غريغوريوس في سنة ١٢٩٩ش (١٥٨٣م) (كتاب رقم ٦١ تاريخ مكتبة الدار البطريركية).

وبعد أن رأى الوفد البابوي للميل من البابا الإسكندرى للاتحاد المعروض عليه أشاروا عليه أن يدعو جميع أساقفته ليقصوا عليهم الأمر ويعرضوا عليهم طلبات البابا ويسرحوا لهم الغرض منها ففعل كما أشاروا (تاريخ الأمة القبطية ص ٢٤٨).

ولما وصل الأساقفة إلى مصر أمر البطريرك بعد مجمع في بابلون. ولما كان اليوم المعين لذلك قام أحد رجال الوفد وتكلم عن المهمة التي حضروا لأجلها وغاية البابا الروماني منها فاظهر الجميع الارتياح التام والميل لإيجاد الاتحاد والألفة بين طوائف المسيحيين.

ولكن لما دار الحديث والبحث والمناقشة في أمر طلبات البابا الروماني على الغوغاء واشتد التزاع وقويت المحاجة والمعارضة. فأظهر بعض الأساقفة الميل إلى إجابة الطلب واستحسان عقد اتفاق والبعض الآخر عارض أشد معارضة مؤيدین معارضتهم بأن موافقهم على طلبات البابا الروماني تضر في المستقبل باستغلال الأمة الدينی الذي اشتراه آباؤهم بسفك دمائهم وتجر إلى مشاكل واضطرابات ومنازعات هم في غنى عنها بالكلية مهما تكون الحالة.

أما البطريرك البابا يوانس فلاشخورخته وبساطته مال إلى الفريق الموافق على عقد الاتفاقية والاتحاد ظنا منه أنه معارضة الفريق الآخر مبنية على حفظ الرئاسة المطلقة لشخصه ليس إلا وأن في هذا الاتحاد فائدة حقيقة لأبناء أمته فأثر على أفكار البعض بالموافقة وأمر بتحرير عقد الاتفاق بالمعنى التي أشار بها معتمدو بابا رومية وهكذا انفض المجمع (تاريخ الأمة القبطية ليعقوب بك نخله ص ٢٤٩).

ولكن إرادة الله التي تتحقق كل إرادة أقصدت تدابير مبعوثي البابا الروماني فقد أشتبئت أثناء هذه الفترة سوء معاملة الوزير إبراهيم باشا للبابا يوانس وشعبه حتى لاضطر خوفا من بطش هذا الوزير إلى التوجه للإسكندرية وعندما هدأت الحالة عاد البابا من الإسكندرية ولما وصل للنحارية حصل له ضعف (ذيل ابن الراهب ص ٤٢).

وفي أثناء هذه الفترة من الزمن كان مبعوثو البابا الروماني قد أعدوا المعاهدة التي اتفق على عقدها انتظروا قدم البابا من الإسكندرية للتتوقيع عليها منه ومن

الأساقفة ولكن البابا يوأنس توفى في تلك الليلة في النحارية تاركا الدنيا وما عليها ففشل المجتمع وذهب كل هذه الأتعاب سدى. وينسب مؤرخو الكاثوليك هذا الموت الفجائي على أثر الاتفاق إلى فعل فاعل ويدعون أنه مات مسموما (تاريخ الأمة القبطية ص ٢٤٩ و ٢٥٠).

أما رسل للبابا فقد ألقى للوالى القبض عليهم كعيون غرباء واتهامهم بالقاء الفتنة بين الرعاعيا فزجمهم في السجن إلى أن قام بعض أغنياء القبط واشتروا إطلاق سراحهم بخمسة آلاف قطعة من الذهب ليعودوا إلى بلادهم بأمان فعد البابا الروماني هذا جميلا منهم وشكرا لهم عليه ورد المال إليهم (تاريخ الأمة القبطية ليعقوب بك نخله رو فيه ص ٢٥٠).

٨. دفن البابا يوأنس في بربما

وكانت نهاية البابا يوأنس الرابع عشر في يوم ٣ النسي سنة ١٣٠٢ الموافق ٦ سبتمبر سنة ١٥٨٦م واحتفلوا بجنازته ودفنه في بربما ثم نقوله بعد ذلك إلى بربة شيهات بدير السريان (كتاب تاريخ وجداول البطاركة ص ٩٥ وزيل ابن الراهب ص ٢٤٤) وكانت الوفاة في أيام السلطان مراد الثالث.

٩. استشهاد الراهب القديس يوحنا القليوبى

وفي أيام البابا يوأنس الرابع عشر البطريرك (٩٦) أراد الحكم إرغام الراهب يوحنا القليوبى من دير القديس أنبا بيشوى بالبرية المقدسة على إشهار إسلامه فلم يقبل وتمسك بإيمانه بالرب يسوع المسيح فحكموا عليه بحمله على جمل والمورر به في المدينة وغرسوه في أيديه سكاكين حادة وفي أكتافه مشاعل نار متقدة. وكان يتتحمل كل هذه العذابات بصبر وجلد محافظاً على إيمانه بالسيد المسيح. ولما رأوا ثباته في الإيمان حملوه على عود خشب وهو صابر على ذلك العذاب الأليم. إلى أن أسلم الروح في الصاعرة التاسعة من نهار يوم الأحد العبارك الموافق ٣٠ هاتور سنة ١٢٩٨ (أديسمبر سنة ١٥٨٢م) وكان كل ذلك تنفيذا لأحكام السادة العدول الأقباط وصاحب السعادة وغيرهم من العلماء.

وبعد أن أسلم الروح بيد الرب أنزلوه في باكر يوم الاثنين وتسلمه القبط وأحضروه إلى ببيعة الست بربارة بمصر بقصر الشمع وكفروا جسده بالأكفان الفاخرة والأطیاب الثمينة وعملوا له كل ما يلائم قداسته من الإكرام والاحترام ورفعوا السراويل المقدسة ووضعوا جسده باليبيعة المنكورة بحضور جمهور من الشعب

المسيحي نفعنا الله ببركاته (قد نقلت هذه القصة الطاهرة من كتاب تاريخ الميرون رقم ١٠٦ طقس تأليف أثبا أثاسيوس أسقف قوص المحفوظ في الدار البطريركية).

١. المسيحية في بلاد النوبة

قد كان ملوك النوبة حتى القرن السادس عشر مسيحيين خاضعين لسلطان مصر يدفعون له الجزية ولكن بعد الفتح العثماني أخذت الحكومة المسيحية في بلاد النوبة تسقط تدريجياً حتى حل محلها حكومة إسلامية اجتهدت في محو النصرانية من تلك البلاد فكثر عدد المستشهدين وأسلم الكثيرون ومن خلص من الموت هاجر إلى مديرية أسوان واستوطنوا فيها ومن بقي منهم في بلاد النوبة صار في عوایده كالمسلم سواء وهكذا زالت المسيحية من تلك البلاد.

البابا غبريال الثامن

البطريرك (٩٧)

١. رهبته

كان راهباً مجاهداً من منمير لسمه شنوده وقد ترهب في دير أثبا بيشوى ببرية شيهات بوادي النطرون (نيل ابن الراهب ص ٤٢٤١ ونيل بن كبر ص ٢٦٦ وكتاب ١٥ تاريخ ص ٢٩٨).

٢. اختياره للبطيريكية

وظل لكرسي البطيريكى بعد نياحة البابا يوانس الرابع عشر خالياً نحو تسعه أشهر ويوضع أيام فاجتمع الآباء الأساقفة وجماعة الأراخنة لاختيار خليفة له على الكرسي المرقسى الإسكندرى ولختاروا الراهب شنوده لإقامته بطيريكاك وكرزوه بطيريكاك باسم البابا غبريال الثامن في يوم الأحد ١٦ بؤونة سنة ٣٠٣ اش المواقف ٢٠ يونيه سنة ١٥٨٧م بكنيسة القديس مرقوريوس أبي سيفين بمصر وكان ذلك ليوم يوم الاحتلال بعيد الملك غبريال وكان المتقدم في تكريسه الأنبا زخارياس أسف القدس وأثبا كيرلس الخليami (تاريخ وجداول البطاركة ص ٩٤ ونيل ابن الراهب ص ٤٢٤١ ونيل ابن كبر ص ٢٦٦ ونيل فوه ص ١٨٥) وكان ذلك في أيام السلطان العثماني مراد الثالث.

٣. إقامة البطريرك بحارة زويله

وقد أقام البابا غبرיאל الثامن بكنيسة السيدة العذراء الأثوذكية بحارة زويله مدق رئاسته (تاریخ وجداول البطاركة ص ٩٥).

٤. الحوادث السياسية في عهده

وحدثت في عهد هذا البابا اضطرابات عديدة بين العسكر والولاة بمصر انشر بسيبها طاعون عظيم وقطط ماحق وثورات عديدة وفي هذا العهد تسربت عادة التدخين إلى مصر وهي لم تكن معروفة في البلاد المصرية من قبل (التفويقات الإلهامية ص ٥٠٥).

٥. هودة سعي بابا رومية لضم الكنيسة القبطية

أن خيبة بابا رومية في أمر ضم الكنيسة القبطية إلى الكنيسة الرومانية كما تقدم ذكره في سيرة البابا يواحش الرابع عشر لم تنته عن استئناف السعي في الحصول على بغيته. وكان على كرسي رومية وقتذاك البابا سكستوس الخامس وقد أظهر هذا البابا الروماني كل التساهل والتلاؤد في مخابراته مع البابا غبرائيل الثامن إلا أنه لم ينجح في مسعاه بسبب دعوته جماعة الأقباط وبطريركهم إلى طاعنه والخضوع لسلطته بدعوى أنه هو الرئيس العام على جميع المسيحيين وكذلك لم يرق في عيون البابا غبرائيل وكبار إكليلوسه ووجهاء الأمة القبطية أن يبيعوا استقلالهم الديني ويصبحوا متبعين لكرسي رومية.

واستمرت هذه المخابرات جارية بين رومية ومصر مدة من الزمن ولكن بدون فائدة (تاریخ الأمة القبطية ص ٢٥٠).

٦. معاكسة روما للكنيسة القبطية في أثيوبيا

ولما فشلت روما في ضم أقباط مصر إلى البابوية أخذ باباوات رومية يعاكسونهم في أبرشية أثيوبيا. وكان ذلك في أيام الملك يعقوب ملاك سجاد الثاني الذي تولى الملك من سنة ١٥٤٧ م إلى سنة ١٦٠٣ م وفي أثناء مدة حبرية أثبا خريستونلو مطران الحبشة الذي تولى الكرسي نحو سنة ١٥٩٠ م إذ أرسلت روما الراهب اليسوعي بيدوفيز سنة ١٦٠٠ م.

ولما وصل الراهب المنكور إلى مصر وقع سجنه الأحباش هناك ولكنهم أطلقوا سراحه بعد ذلك وسمحوا له بالإقامة بينهم. فأقام بمدينة فريمونا وأخذ في تعلم

لغة البلاد حتى أتقها ثم ابتدأ في العمل نحو تأدية المهمة الأساسية التي حضر من لطها إلى تلك البلاد.

فعلم البابا غريال الثامن بذلك وأرسل خطاباً بذلك يحذر فيه الملك ورعية الحبشة من تعاليمه الغريبة عن تعاليم كنيسة الإسكندرية الأرثوذكسية فقابل الشعب والإكليروس أمره بالطاعة والامتثال وأما الملك زاد نجل عسفاف سجاد الثاني خليفة الملك يعقوب فلم يعبأ بذلك لأن بيديو فيز قد تملك فكره بدهائه وقوته عارضته وخطبه يميل إلى العقيدة الكاثوليكية ويظهر رغبته في اعتقادها. وقد وافقه على ذلك بعض رجال حكومته وأمرائه.

فاضطر المطران القبطي أن ينصحه وبهدده بالحرم فلم ير عو فاعلن حرمته في آخر الأمر وقطعه من عضوية الكنيسة الأرثوذكسية فقامت الرعية على هذا الملك وأشهرت سلاح العصيان في وجهه وحاربوه وانتصروا عليه وقتلوه في ميدان الحرب في ٢٤ أكتوبر سنة ١٦٠٤م (تاريخ الأمة القبطية ص ٢٥١ و ٢٥٢ و ٢٦٩ و ٢٤٦). وجزء رابع من تاريخ مسرز بوتشير ص ١٢٦ - ١٢٨ وكتاب توقيع الأزمنة المسيحية ص ٢٤٦ و ٢٦٩).

٧. عزل البابا غريال من كرسيه وعودته

وحدث بين مسيحيي مصر خلاف شديد أدى إلى إقامة أربعة بطاركة في وقت واحد وسعى بعضهم لدى الوالي في عزل البابا غريال الثامن فوقق على ذلك وعزله وبعد فترة من الزمن عاد هذا البابا إلى كرسيه ثانياً في أيام السلطان مواد الثالث واستقرت له البطريركية (نبيل تاريخ ابن الراهب ص ٤٤٢ و ٤٣١).

ويقول يعقوب بك نخله في تاريخه أن الكاثوليك ينسبون عزل هذا البابا إلى عصيّة من كبار القبط لما رأوا فيه العيل إلى عقد اتفاق مع رومية (ص ٢٥١).

٨. تعديل الأصوم

وفي سنة ١٣١٨ المصادقة لسنة ١٦٠٢م أصدر البابا غريال الثامن أمر بتعديل الأصوم في الكنيسة القبطية كما يأتي:

- (١) أن يكون صوم الرسل من يوم عيد العذراء ٢١ بؤونة وفصحه في اليوم الخامس من أبيب.
- (٢) وأن يكون صوم السيدة العذراء الذي يحل في شهر مسراً اختيارياً فمن صامه وفاء لنذر قطعه على نفسه فله ثوابه ومن لم يصم فلا جناح عليه.

٣) وإن يبتدئ صوم الميلاد من أول شهر كييهك ويكون فصحه عيد الميلاد.

٤) وإن لا تصوم ثلاثة أيام نينوى.

وقد وافقت عليه الأمة القبطية وقتلت (كتاب الرسائل والقائلون والأبركسيس عربي رقم ٢٠٣ مقدسة بمكتبة دير آبا أنطونيوس).

٩. زيارة البابا غريمال للأديرة البحريّة ونهايته هناك

وقام البابا غريمال الثامن بزيارة الأديرة البحريّة ببيرة شيهيت فأدركته المنية أثناء وجوده في دير السيدة العذراء المعروف بالسريان في يوم ٩ بشنس سنة ١٣١٩ش الموافق ١٤ مايو سنة ١٦٠٣م فقام الآباء الرهبان بتجميذه ودفنه بإكرام في بيعة الدير وكان ذلك في أيام السلطان العثماني أحمد الثاني وأقام على الكرسي مدة ١٥ سنة و ١٠ شهور و ٢٤ يوماً (كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٩٨ ونيل فوه ص ١٨٥ وتاريخ وجداول البطاركة ص ٩٥).

البابا مرقس الخامس

البطريرك (٩٦)

أ. موطنه ورهبنته

كان هذا الأب من أهالي البياضية وكانت وظيفته قياساً في أعمال المساحة ثم مال إلى معيشة الزهد والتتصوف فترك العالم وانخرط في سلك رهبان دير القديس العظيم أبو مقار ببيرة شيهيت وكان عالماً بكل الشرائع (كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٩٨ ونيل فوه ص ١٨٥).

١. اختيارة للبطريركية

بعد انتقال البابا غريمال الثامن من هذا العالم ظل الكرسي البطريركي خالياً مدة شهر وستة عشر يوماً وبعد البحث لجتماع مجمع الأساقفة مع الأراخنة ووقع اختيارهم لكرسي البابوي على لراهب مرقس المقاري (جدول وتاريخ للبطاركة ص ٩٤).

٢. رسالته بطريقها

وقدم هذا الأب في يوم الأحد ٢٦ بؤونة سنة ١٣١٩ش الموافق ٣٠ يونيو سنة ١٦٠٣م ورسم بطريقها على الكرامة المرقسية باسم البابا مرقس الخامس في كنيسة الشهيد العظيم مرقوريوس أبي سيفين بمصر القديمة وكان المتقدم في

رسامته أثبا اخرسطونلو القلادى في أيام السلطان محمد الثالث وولادة الوزير على
ياشا السلاحدار (جدول وتاريخ البطاركة ص ٩٤).

٤. استهاره بالعلم

وكان هذا للبابا عالماً متقدماً متبرراً في كل الشرائع والعلوم الكنسية (نيل فوه
ص ١٨٥).

٥. حال الأمة القبطية في الجيل السابع عشر

وضع المؤرخ القبطي المكني بأبي دقن المنوفى الذي عاش في منتصف الجيل
السابع عشر وكان من أهل الفضل والوجاهة كتاباً باللغة العربية محفوظاً بمكتبة
لسافورد بإنجلترا شرح فيه حال الأقباط في هذا العصر وعاداتهم وأفراد فيه بابا
خاصاً للدفاع عن معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وجاء في هذا الكتاب "أن
الأقباط اكتسبوا في ذلك الزمان بحسن خدمتهم وإخلاص صداقتهم ثقة إخوانهم
المسلمين بهم فعززوه وساووهم بالروم والإفرنج" وأضاف إلى ما تقدم قائلاً:
إن "معظم الصناع كصناعة الذهب والفضة والحاياكة والنحارة والصباغة وغيرها
من الصناعات كانت في أيديهم" ثم أريف بعد ذلك قائلاً: "وكان منهم المهندسون
والبناءون والصباغون والخياطون والنقاشون والخراطون وغير ذلك".

وقل من جهة تتفقفهم: "وكانت تدرس في مدارسهم للفتائيم القبطية والعربية
والحساب والجغرافية والدين والألحان الكنسية".

وقل من جهة الأخلاق: "وكان الشبان القبط في ذاك الحين أكثر زهدًا وأقل شروافة
في المأكل والمشرب والبساطة في الملبس عن أقرانهم الإفرنج" (تاريخ الأمة
القبطية ص ٢٥٤ و ٢٥٥).

٦. زيارة البابا للقدس الشريف وعنايته بأملاك القبط

وظهر من منطقه التقليد الصادر من البابا مرقى الخامس بتاريخ ١٢ يونيو
سنة ١٣٢٠ المولى ١٦ يونية سنة ١٦٠٤ م إلى الق مصر يعقوب للراهب بتعيينه
رئيساً للقيامة في القدس الشريف أن غبطته قد زار الأراضي المقدسة وعاين
بنفسه أملاك القبط ودعا الشعب القبطي إلى معاونة الرئيس المذكور لصيانة وحفظ
هذه الأملاك.

٧. ثورة أقباط الوجه البحري ضد البابا وعزله

وقد نال هذا البابا اضطهاد شديد من أهالي الوجه البحري بسبب الأصوات والزيجة. حتى قام متولى مصر بحبس هذا البابا في برج الإسكندرية بناء على طلبهم وأقاموا بطريركًا عوضًا عنه.

ولما علم المصريون بما جرى للبابا مرقس وإقامة بطريرك عوضه لم يوافقوا على هذا التصرف ولم يقبلوا البابا الجديد بل أهانوه وقطعوا نيل حماره. وظل البابا مرقس معتقلًا بالبرج مدة كبيرة وأخيرًا تقدم جماعة الأراخنة بمصر إلى الوالي وبذلوا لديه سعيهم حتى أطلق لهم سبيل البابا مرقس ورجع إلى كرميه مكرماً.

٨. الأسباب الحقيقة للثورة كما شرحها علماء التاريخ

إنه على أثر إقامة البابا مرقس على كرسي البابوية طلب إليه نصارى جهة الريadianية أن يأذن لهم بتعدد الزوجات فوبخهم على هذه الجسارة فتحبزوا ضده وشكوه للوالى طالبين عزله فحبسه في برج الإسكندرية وأنذن لهم برسامة خلافه فأغروا راهباً وكرسوه بطريركًا فأذن لهم بالطلاق وتعدد الزوجات ولم تمض مدة حتى ثار نصارى القاهرة والصعيد وتوجه وفدى منهم إلى الوالى والتتسوا عفوه عن البابا مرقس بداعى أن الذى رسمه أهل تلك الجهة كان لغرض فى النفس وهو الأنذن لهم بالطلاق وتعدد الزوجات الأمر المخالف لشريعة الإنجيل فعفا الوالى عن البابا ورده إلى كرسيه (الأسقف إيسونوروس في الخريدة النفيصة جزء ثان ص ٤٧١).

وفى هذه الحركة الريadianية انضم مطران دمياط لأهلها وجاهر بأن تعدد الزوجات غير منوع في الإنجيل فاصدر البابا مرقس أمراً بحرم تعدد الزوجات وحرم المطران الذى نادى به فانضم بعد ذلك الحرم هذا المطران إلى أعيان الريadianية وشكوا البابا للوالى فقبض عليه وحبسه (ص ١٤٨ من تاريخ الأمة القبطية للسيدة بوتشر جزء رابع).

٩. عودة البابا مرقس ونفي البطريرك الدخيل

وبعد إطلاق سبيل البابا مرقس من الاعتقال عونته إلى كرسيه ظل أهل الحزب الأول مصرًا على عناده متمسكاً ببطريركية الدخيل إلى أن ضعف نفوذه وتنرق أنصاره على توالى الزمن (الخريدة النفيصة ص ٤٧١ جزء ثان).

وأما البطريرك الدخيل الذي أقاموه فكان من البياضية أيضاً وهي نفس بلدة البابا مرقس فانطلق بعد اتحال حزبه إلى الصعيد مسقط رأسه وأقام يعمل في كرم بالقرب من دير أبي يحنس القصير شرقي ناحية البياضية إلى أن مات والكرم باق لآخر (نيل فوه ص ١٨٥م).

وأما الذين كانوا السبب في حبس البابا مرقس فقد أبادهم الله سريعاً وقطع نزاريرهم وهم منازلهم وصارت خراباً.

وقال كاتب هذه السيرة في تاريخ البطاركة أنه رأى بنفسه هذه المنازل في الريadianة وهي خراب وأحواش للزبالات بعدها كانت دوراً عامرة وقصوراً مشيدة (نيل فوه ص ١٨٥م).

١٠. زيارة البابا مرقس لصعيد مصر

قام البابا مرقس الخامس بتقدّر رعيته في صعيد مصر ثلاثة مرات مدة إقامته على الكرسي البطريركي (نيل فوه ص ١٨٥م).

١١. استمرار نسائين الكاثوليك في أثيوبيا

لما مات ملك الحبشة الكاثوليكي في ٢٤ أكتوبر سنة ١٦٠٤ عاد إلى تولى سرير المملكة الحبشية الملك يعقوب سجاد الثاني للدفعة الثانية وظل مدير المملكة إلى ١٠ مارس سنة ١٦٠٧م. وكانت في أيامه أحوال الكنيسة الحبشية هادئة وظلت كذلك إلى أن تولى أحد أفراد العائلة المدعى شنوده ويسميه البعض سوسينيوس وقد حكم الحبشة من سنة ١٦٠٧ إلى ١٧ سبتمبر سنة ١٦٣٢م وهو يعرف أيضاً باسم سلطان سجاد الأول أو ملك سجاد الثالث. فاستمرت الأحوال في بدء أيامه هادئة. غير أن بيدوفيز اليسوعي لم يغفل طرفة عين عن جذب قلب الملك إليه حتى فاز أخيراً بضممه إليه وكان الناس ينظرون في أول الأمر إلى تقربه منه بغير أهمية على ظن أن السوابق علمته أن لا يلقى بنفسه ورعايته في مهاوى المهالك. ولكن جاء الأمر بخلاف ما كانوا يحسبونه إذ علموا أنه ينوى إرسال وفد إلى روما ليعرض على البابا خضوع الملك ورعايته له. فهاجروا وهموا بالدفاع عن مذهبهم القديم واعتقادهم المستقيم واستقلالهم الدينى. وكذلك ندى المطران بحرم التعاليم البابوية وحرم من يتمسك بها. فعمت هذه الفتنة في جميع البلاد ووقعت في حروب وارتباكات داخلية دامت ست سنوات كانت نتيجتها

الويل والخراب على الملك ورعاياه وكل مملكته (تاریخ الأمة القبطية ص ٢٥٢ و ٢٥٣).

١٢. انتقال البابا من العالم

ذكر ولضع سيرة هذا البابا في نيل تاريخ البطاركة لأسقف فوه وقد كان معلصراً له فقال: إن البابا مرقس كان محباً للفضة والشراب وأن كل ما أصابه من التواب والشدائـد والاعـقال والـلفـي كان بسبب ذلك (نيل فوه ص ١٨٥١٠) وقد كان كل ذلك درساً استفاد منه وجعله يعدل في تصرفاته الشخصية.

وكان يقيم للبابا مدة وجوده بالقاهرة في القلـاة البـطـرـيرـكـية بـكـنـيـسـةـ السـيـدةـ العـذـراءـ الـأـثـرـيـةـ بـحـارـةـ زـوـيلـهـ.

وفي يوم عيد النـيـرـوزـ أولـ توـتـ سـنـةـ ١٣٣٦ـ اـشـ المـوـافـقـ ٩ـ سـبـتمـبرـ سـنـةـ ١٦١٩ـ اـنـتـقلـ هـذـاـ الـبـابـاـ إـلـىـ دـارـ الـبـقـاءـ فـيـ أـيـامـ السـلـطـانـ عـمـانـ وـوـلـاـيـةـ مـصـرـفـىـ باـشاـ عـلـىـ مـصـرـ.

واحتـفلـ بـجـنـازـتـهـ وـدـفـنـ فـيـ مـقـبـرـةـ الـبـطـارـكـةـ بـبـيـرـ القـيـسـ أـبـيـ مـقـارـ فـيـ بـرـيـةـ شـيهـيـتـ (كتـابـ تـارـيـخـ وـجـداـولـ الـبـطـارـكـةـ صـ ٩٥ـ).

البابا يوانس الخامس عشر

البطريـكـ (٩٩)

١. موطنـهـ وـرـهـبـتـهـ

كان من أهل ملوى بالصعيد وترهب بدير القيس العظيم أنطونيوس وكان راهباً عيناً عالماً بالكتب ومطلاعاً على المؤلفات القيمة المحفوظة بمكتبة الدير (نيل فوه ص ١٨٦).

٢. اختيـارـ الـبـطـرـيرـكـ

ولما تـبـيـغـ الـبـابـاـ مـرـقـسـ الـخـامـسـ اـجـتـمـعـ الـمـجـمـعـ فـيـ الـحـالـ بـحـضـورـ لـرـؤـسـاءـ الـأـرـاخـنةـ لـاختـيـارـ الـبـطـرـيرـكـ وـتـمـ الـاـنـفـاقـ بـيـنـهـمـ عـلـىـ تـرـشـيـحـ الرـاهـبـ يـوـحـنـاـ الـمـلـوـانـىـ وأـقـامـوهـ فـيـ الـيـوـمـ الـسـابـعـ مـنـ وـفـةـ الـبـابـاـ مـرـقـسـ بـطـرـيرـكـاـ باـسـمـ الـبـابـاـ يـوـانـسـ الـخـلـمـسـ عـشـرـ الـبـطـرـيرـكـ (٩٩ـ) وـهـوـ يـوـمـ الـأـحـدـ السـابـعـ مـنـ شـهـرـ توـتـ سـنـةـ ١٣٣٦ـ اـشـ المـوـافـقـ ١٥ـ سـبـتمـبرـ سـنـةـ ١٦١٩ـ فـيـ أـيـامـ السـلـطـانـ عـمـانـ وـوـلـاـيـةـ مـصـرـفـىـ باـشاـ وـالـىـ مـصـرـ (كتـابـ تـارـيـخـ وـجـداـولـ الـبـطـارـكـةـ صـ ٩٤ـ).

٣. عدالة قضاة

وكان هذا البابا لا يحبى للناس وكانت كل أحكامه عادلة فكان لا يحيد عن الحق مهما كان مركز المتقاضين أمامه ولذلك نال بجدارة واستحقاق لقب القاضي العادل (نيل فوه ص ١٨٦).

٤. أخلاق

وكان رجلا سانجا وأباً نقي القلب محباً للكنيسة عطوفاً على الكهنة وراعياً تقوا وفتوعا لم يطلب من أحد شيئاً من أمور الدنيا طول حياته وكان مداوماً على الصلوات ليلاً ونهاراً محباً للمساكين والغرباء حنوناً على الفقراء (نيل فوه ص ١٨٦).

٥. حدوث الوباء في عهده

وحدث في أيام هذا البابا وباء عظيم لم يحصل مثله قط في سنة ١٣٣٨ش الموافقة ١٦٢٢م وأطلقوا عليه اسم الفصل الأسود وأقام الوباء متفشياً في أرض الصعيد من أول شهر طوبة إلى آخر شهر برمودة حتى فنيت الناس وخربت أكثر البيوت. وقد كان البابا في الصعيد في ذلك الوقت وعاد منه إلى مصر في سنة ١٣٤١ش وحدث في هذه السنة وباء عظيم في كل أرض مصر إلا أنه كان أقل شدة من الوباء السابق الذي حل قبله.

وفي السنة التالية لهذا الوباء الثاني سافر البابا إلى الصعيد ورجع بعد ذلك إلى مصر (نيل فوه ص ١٨٦١٠ للتوفيقات الالهامية ص ١٦٥٥).

٦. مطارنة أثيوبيا في عهد البابا يوانس

وقد كانت الكنيسة الحبشية الارثوذوكسية تعاني المتاعب الكثيرة من جراء استمرار وجود الآباء اليسوعيين في تلك البلاد وسيطرتهم على المملكة الحبشية في أيام موسينيوس ملك سجاد الثالث ملك الحبشة الذي تولى الملك من سنة ١٦٠٧ إلى ١٦٣٧م.

وقد كان في أيام بطريوشية البابا يوانس الخامس عشر مطارنة لأقباط يرأسون كنيسة الحبشة وهم المطران بطرس الذي تولى المطرانية بعد المطران خرسطونتو في أيام البابا مرقس الخامس وكان ذلك في سنة ١٦٠٧ ميلادية. وبعد تنازله للمطران بطرس تولى بعده إدارة كنيسة الحبشة المطران سيمون حتى وفاته في سنة ١٦١٧م وقد تولى بعده مطراناً غير قانوني لم تعينه الكنيسة

القبطية وكان اسمه رزق الله لأن كرسى المطرانية ظل خالياً من المطرانة القبط الشرعىين حتى سنة ١٦٣٧ ميلادية (تقويم الأزمنة المسيحية بمصر وأثيوبيا ص ٢٦٩ تأليف شين).

٧. آخر أيامه

وفي لشأن عودة البابا من صعيد مصر للمرة الأخيرة التي قام فيها بزيارة تلك البلاد مر قداسته بناحية أبنوب وبات فيها ليلة عند أحد أولاد حديدة من أعيان تلك المدينة فشعر البابا في تلك الليلة بضعف شديد في بطنه وذكر المؤرخون أنه سقى سما في بيته هذا الثرى لأنه كان متسررياً ونهاه البابا عن التسرى. ولما شعر البابا بشدة وطأة العرض طلب مركباً للسفر عليها فأحضروا له وركبها ممما شطر مصر القديمة (ذيل فوه ص ١٨٦).

٨. نياحة البابا

ولكن بعد سير المركب نتيج للبابا في الطريق فتوجهوا به إلى البياضية وهناك عملوا له الحنازة ودفنه في دير القديس أنبا بيشوى (ذيل فوه ص ١٨٦). وقد كانت وفاة هذا البابا في يوم ٥ الفنسى سنة ١٣٤٦ش الموافق ٧ سبتمبر سنة ١٦٢٩ م فى أيام السلطان مراد الرابع وظل الكرسى البطريركى بعده خالياً مدة سنة كاملة (كانت مدة اقامة البابا يوانس على الكرسى الإسكندرى تسع سنوات واحدى عشر شهراً واثنان وعشرون يوماً) (تاريخ وجداول البطاركة ص ٩٥).

البابا متاؤس الثالث

البطريرك (١٠٠)

١، عائلته وموطنه

ولد هذا البابا من أبوين مسيحيين اشتهرَا بالصلاح والتقوى والسير وعمل الأحسان من ناحية طوخ النصارى بمديرية المنوفية وكان اسمه تادرس (ذيل فوه ص ١٨٦) وتاريخ وجداول البطاركة ص ٩٤ وكتاب ٤٧ تاريخ بمكتبة الدار البطريركية.

٢. تربيته ورهبنته

وقد أحسنا والدا تادرس تربيته فعلماه القراءة والكتابة والحساب واللغة القبطية وعلوم البيعة المقدسة في كتاب البلدة الذي كان في ذلك العصر المعهد الدراسي الوحيد للثقافة في عصره.

ولما ترعرع وتعلم كانت ميوله متوجهة نحو معيشة الرهبنة والتشفف والنسك والتعفف فاشتاق إلى الرهبنة ولما اختمرت هذه الفكرة في نفسه ترك الأهل وهجر البلدة والتوجه إلى دير القديس أبي مقار في البرية بتدير من العناية الإلهية وتبع قوز، المسيح له المجد: «من أحب أبا أو أما أكثر مني ما يستحقني ومن لم يحمل صلبيه ويتابعني فلا يكون لي تلميذا».

وقد اشتهر تادرس في الدير بين إقرانه بسم الأخلاق والوداعة والمعرفة والقوى والصلاح فاختاروه قسا للدير ونظراً لشدة غيرته وصلاحه وعطافه أقامه مجمع دير أبي مقار رئيساً للدير ورقاه إلى رتبة القمصية (كتاب رقم ٤٧ تاريخ بمكتبة الدار البطريركية).

٣. اختياره للبطيريكية

ولما تتيح البابا يؤنس الخامس عشر في ٥ النسي سنة ١٣٤٦ ش الموافق ٧ سبتمبر سنة ١٦٢٩م اجتمع مجمع الأساقفة المقدس مع حضرات أراخنة الشعب ووقع اختيارهم على القس تادرس ليكون بطيريكًا على الكرسي الاسكندري.

٤. رسالته

وفي يوم الأحد ٤ النسي سنة ١٣٤٧ ش الموافق ٨ سبتمبر سنة ١٦٣١م تمت رسامة القمص تادرس بطيريكًا باسم البابا متأوّس الثالث البطيريك (١٠٠) وأشتهر هذا البابا باسم متى الطوخى وكان المتقدم في تكريزه أنبا يؤنس المطران كما كان المتولى على مصر وقتذ الأمير حسن قائمقام الوالى موسى باشا المخلوع (نيل فوه ص ١٨٦ وكتاب رقم ٤٧ تاريخ بمكتبة الدار البطيريكية).

فلما جلس هذا البابا على الكرسي الرسولي قام برعاية شعب المسيح أحسن رعاية وكان الهدوء والسلام مرفرفاً اجتاحتها على المؤمنين في أيامه وبخاصة على البيع المقدس (نيل فوه ص ١٨٦ ١٠١ وكتاب رقم ٤٧ تاريخ ص ١). وكان يقيم في القلاية البطيريكية بكتيبة السيدة العذراء الاترية بحارة زويلة التي كانت وقتذ مركزاً للبطاركة.

٥. اضطهاد الوالى للبابا بسبب رسوم الولاية

ولما رأى أبليس عدو الخير أن الهداة شمل البيعة وشعب الله المختار وسد السلام في أول أيام البابا متأوس دخل في نفسه روح الحسد فحرك أناساً أشروا بالسوء على هذا البابا الجليل الوديع القلب فطعوا إلى المtower على مصر وكان وقتذا يدعى خليل باشا وأخبروه أن الذى يصيير بطريركًا يقوم بدفع رسم كبير المقدار للمtower. فأرسل خليل باشا إلى البابا متأوس رسولاً من قباهه ليس تدعنه ويحقد عليه بسبب عدم قيامه بدفع الرسوم المعتادة.

فلا علم جماعة الأراخنة بهذه المؤامرة الخبيثة طلعوا إلى القلعة وقدموا للمtower طلب المقابلة فسمح لهم بذلك ولكن من أجل بركة البابا البطريرك أسفل الله على قلب خليل باشا روح النسيان فلم يفكر في طلب البابا كما كان عازماً بذلك تكلم معهم في شأن الرسوم وألزمهم بالقيام بدفع غرامة قدرها أربعة آلاف قرآن. فنزل الأراخنة من عند الوالى ممتنعين غماً ووجع قلب ولكن الله سبحانه وتعالى الذى لا يشاء هلاك أحد أنزل الحنان والرقة في قلب إنسان يهودي فدفع المبلغ المنكورة من عنده إلى الوالى وفرض جماعة الأراخنة هذا المبلغ عليهم كما قام البابا أيضاً اشتراك معهم بجانب يسير من هذه الغرامة وسدوا قيمة لرجل المروفة اليهودي المنكورة.

ولما كان البابا لا يملك درهماً من حصته في الغرامة نزل إلى الوجه القبلي لجمعها وقد ساعده الرب يسوع المسيح معين الملائكة إليه في هذه الرحلة فحنن عليه قلوب الشعب وأعطوه مطلوبه بكل ارتياح (كتاب ٤٧ تاريخ ص ٢).

٦. وقوع غلاء عظيم في البلاد

وقد وقع في آخر أيام البابا يوانس الملتواني الخامن عشر وفي مدة خلو الكرسي الذي لبث مدة سنة كاملة كما تقم ذكره أن هبط النيل هيوطاً كبيراً فجاء شهر نوت سنة ١٣٤٧ أش الموافق شهر سبتمبر سنة ١٦٣٠ ولم يرتفع النيل بل هبطت مياهه مرةً واحدةً وانتشر الغلاء في البلاد (التوقيفات الإلهامية ص ٥٢٠). وزداد للغلاء في البلاد ولم يقع مثله. وزاد لارتفاع ثمن القمح وأصبح نادر الوجود حتى اضطر أكثر الناس إلى أكل العيطة. ومنهم من مات من أكل لحم الدواب فتورم جسمه وملأه ومنهم من دق العظام وأكله ومنهم من كان يبحث في الكيمان ليلقط منها ما يسد بها رمقه فكانت تقع عليهم فيموتون وبقي هذا الغلاء

مستمراً مدة سنتين وكان المحتل وقئذ على الصعيد الامير حيدر وكان الوالي في مصر من قبل للدولة العثمانية موسى باشا (التفويقات الالهامية ص ٥٢٠ ونيل فوه ص ١٨٦ "أ").

٧. الرخاء بعد الغلاء

وفي شهر توت سنة ١٣٤٨ وصل إلى مصر من الاستانة خليل باشا البستانجي الوالي الجديد استلم زمام الحكم. وفي سنة ١٣٤٨ زالت مياه النيل وروت البلاد حتى أقبلت محصولات البلاد في سنة ١٣٤٩ ش وزاد خصباً وتضاعف ريعها ونزلت أسعار الحنطة إلى غرشين الأربب وهبطت باقي أسعار المأكولات وغيرها.

وقد استقال في هذه السنة خليل باشا من الولاية وتولى بدلته الوزير أحمد باشا الكورجي (نيل فوه ص ١٨٦ "أ" والتفويقات الالهامية ص ٥٢١).

وفي سنة ١٣٥٠ كان النيل عالياً قوياً عم كل الدنيا. وفي شهر بابه من السنة المذكورة تولى على الصعيد الأمير على بك الذوقفارى. وتوفرت المياه في عهده وزرعت الأراضي واطمأن الناس وزال الغلاء وتراحت الأسعار (نيل تاريخ فوه ص ١٨٦ "أ").

٨. إرسال ألف عشر قنطار من النحاس لسكها نقوداً

وفي سنة ١٣٥٠ أرسل السلطان العثماني إلى الوالي أحمد باشا الكورجي مراكب كثيرة موسقة نحاساً بشكل اقراص عليها صورة خاتم سليمان بلغ وزنها نحو ١٢ ألف قنطار ليسكها نقوداً على أن يبعث عوضاً عنها إلى الاستانة ثلاثة آلاف محبوب. فأخذ الوالي في سك النحاس وأعد لذلك عمالاً ومعاملة. ثم رأى بعد حين أن جميع هذه الإجراءات ذاهبة عيناً لأن الفعلة ملوا العمل وملأت منهم كثيرون من التعب وشدة الحرارة. فجمع ذوى الشورة من الأمراء والقضاة واستقصارهم فارتدى أحد القضاة أن يجبر الأهالى على استلام هذا النحاس ودفع المبالغ المطلوبة فاقروا رأيه وقاموا بتنفيذ فرموه على مصر والصعيد بسعر كل قنطار ثمانين غرشاً. وقد حصل من ذلك لکامل الناسضرر والضعف لأنه كان تقلاً عظيماً طرح على كاهل المصريين حيث لم ينج من هذه الضريبة الشادة لا غنى ولا فقير. فقللت النقود وغلت الحبوب وارتفعت أسعار سائر المأكولات لارتفاعها فاحسأ حتى ان أغلب الناس اضطروا إلى بيع جميع ما يمتلكونه. ولكن

ولاة الأمر حصلوا من ذلك التصرف أموالاً كثيرة تجهزت وارسلت إلى دار السلطنة بالقسطنطينية أى الاستانة العلية ولما سمع السلطان مراد أن أحمد باشا الكورجي والى مصر رمى النحاس على الرعية قوة واقتداراً واستعمل في ذلك الجور والظلم بالعباد غضب عليه واستدعاه من مصر إلى الإستانة. ولما وصل قال له السلطان: تقد أرسلت إليك النحاس لتعمله عملة يتعامل بها الناس فكيف ترميه على الرعية وتظلمهم ثم أمر بضرب عنقه وولي بدله الوزير حسين باشا (نيل تاريخ فوه ص ١٨٧ والتوفيقات الإلهامية ص ٥٢٢ و٥٢٣).

٩. حوادث الكاثوليك في بلاد الحبشة

وقد تولى المعلكة بعد الملك سوسيروس السلطان سجاد الثاني على البلاد الحبشية الملك فاسيلوس في سنة ١٦٣٢ فقام باضطهاد تابعي الكاثوليك بكل حزم حتى قطع بدارر جميع الرهبان الكاثوليك وطرد كل متذهب بالذهب الكاثوليكي من بلاد الحبشة ومنع دخول الغرباء إليها لغير التجارة واكتساب المعيش بالكد والجد واستعادت بعد ذلك البلاد وحدتها الدينية الأصيلة ونظمت علاقتها بأمها الكنيسة الرسولية القبطية الأرثوذكسية (تاريخ الأمة القبطية ص ٢٥٣).

وبعد ذلك أرسل الملك فاسيلوس إلى البابا متاؤس يطلب مطراناً للمملكة لإدارة الكنيسة الحبشية بعد تنفيذه للبلاد من نسائين الكاثوليك وأثارهم فكرز البابا متاؤس لهذه المعلكة مطراناً لهذه البلاد اسمه انبباً مرقس في سنة ١٦٣٧ (شين ٢٦٩).

وكان هذا المطران من أهالي ناحية أسيوط وجرت عليه أحزان وشدائد كثيرة في بلاد الحبشة وعزلوه وكرزوا آخر غيره. وكان مطرانة أثيوبياً في مدة حكم هذا السلطان من سنة ١٦٣٢ إلى ١٨ أكتوبر سنة ١٦٦٧ أم أربعة مطرانة هم: المطران رزق الله في سنة ١٦٣٤ وهو غير شرعى والمطران مرقس التاسع في سنة ١٦٣٧ هو الذي كرسه البطريرك متاؤس والمطران ميخائيل الثالث في سنة ١٦٣٩ والمطران يؤانس الثالث عشر من سنة ١٦٤٩ إلى سنة ١٦٦٥ (نقويم الأزمنة المسيحية في مصر وأثيوبيا ص ٢٦٨).

١٠. صدى حوادث كاثوليك الحبشة في مصر

وقد أثرت أخبار الإضطرابات والانقلابات والمشاكل التي حصلت في الحبشة في نفوس أقباط مصر تأثيراً ربيعاً ذكرتهم بالمصراويق التي حافت بهم أيام كانت البلاد خاضعة لحكم الدولة الرومانية وما لحقهم أيضاً بعد ذلك من الشدائيد على يد الإفرنج وبسببهم في أيام حروب الصليبيين المشئومة فلم يقبلوا من بابا روميه هناء ولا عزاء ورغم ذلك فإنهم لم يبدوا أنفقة من وجود الإفرنج جماعة الكاثوليك بينهم لما حضر بعضهم إلى مصر وتوطدوا فيها للتجارة بمقتضى المعاهدات الدولية التي عقدت منذ الجيل السادس عشر للميلاد بين ملوك أوروبا والدولة العلوية (تاريخ الأمة القبطية ص ٢٥٣).

١١. رحلة البابا متاؤس الثالث إلى الوجه البحري

وفي سنة ١٣٦١ ش الموافقة سنة ١٦٤٥ م قام البابا متاؤس الثالث بتفقد الوجه البحري بعد أن زار صعيد مصر فنزل بناحية بربما قرب طنطا. فتوجه إليه أهل الناحية طوخ بلده لما سمعوا بوجوده هناك وعرضوا عليه حضوره معهم إلى الناحية ليتباركوا منه فأجابهم إلى سؤالهم ولبى دعوتهم وحضر صحبتهم وعندما قرب من الناحية خرج لاستقباله جماعة الكهنة وكافة الشعب المسيحي ولاقوه بالاكرام والتجليل والتراتيل الروحية التي تليق بكرامته وكان يوماً مشهوداً بحضوره عندهم ولم يكن له مثيل.

١٢. دخول البابا في طوخ النصاري بلده وإقامته بها

ولما دخل المدينة توجه رأساً إلى مقر البيعة المقدسة فدخلها بمجده وكرامته لاتقة بمركزه الدينى السامى وأقام عندهم سنة كاملة وهو قائم على وعظ الشعب وتعليمه.

وعندما حل يوم السبت المبارك الذى أقام فيه الرب حبيب اليعازر من بين الأموات ظهرت من هذا البابا القديس أعيجوبة عظيمة فبعد إقضاء القدس وتوزيع السرائر المقدسة جلس هذا البابا فى البيعة كعادته وجلس بجانبه جماعة الكهنة والشعب المسيحي الذين تقاطروا عليه عندما عرفوا بوجوده فى تلك البلدة ليسمعوا تعاليمه الروحانية. ثم أحضروا له بعد ذلك طعاماً ليأكل فتلا البركة وقسم مع الكهنة ودفع للشعب وأكل معهم وبعد تناول الطعام حانت منه التفاتة نظر جماعة من النساء مقيمات فى البيعة فتكلم قداسته مع الكهنة قال: "لأى شئ تقىم النساء

ها هنا" فأجابوه قائلين: "إنهن ياسيد تتناولن في هذا اليوم من جسد الرب ودمه ولا جل هذا هن مقيمات بالكنيسة" عند ذلك تنهد بالروح وقال: "كأن النسوة يسبقنا إلى الفردوس". فلما تعم كلامه وإذا أحد الشمامسة بالناحية تقدم إليه قائلًا: "يأبانا الآب البطريرك لتقى رأى جماعة الأراخنة بمصر أن يتوجهوا في العام القادم بمشيئة الله سبحانه وتعالى لزيارة القدس الشريف ويأخذوك صحبتهم للزيارة". فلما سمع البابا منه ذلك تحرك من موضعه وتكلم بصوت عال وقال: "ها هنا يكون قبرى في هذه البيعة ولم أعد أبرح من هذا المكان إلى مكان آخر غيره" وقام ليستريح قليلاً في النوبة كجاري عادته وبارك على الشعب واطلقهم السلام إلى منازلهم. ثم دخل إلى قلاليته بجانب البيعة وهي بمنزل أحد الشمامسة وهو المكان الذي اعتاد أن يستريح فيه يومياً وإذا به يطلب إحضار المزین لكي يطلق رأسه فاستدعاه المزین كطبله.

١٣. نباحة البابا

ولما دخل تلميذ البابا في مخدعه وجده راقداً على فراشه وهو متوجه إلى الشرق ويداه على صدره على مثل الصليب المقدس وقد أسلم روحه بيد الرب. فأعلم جماعة الكهنة والشعب بذلك. فاجتمعوا عند حجرة البابا فوجدوه قد تتبّع لم يتغير منظره بل كان وجهه يضئ كالشمس فاحضروه إلى البيعة المقدسة وجنزووه باحتفال عظيم كما يليق بالأباء البطاركة وبنفوذه بالبيعة المكرزة على اسم الشهيد الكبير القديس مار جرجس بناحية طوخ لكنه بهذه الأصلية موطن رأسه. وقد تتبّع هذا البابا بشيخوخة صالحة نقية وعيشة حسنة كاملة نتفشفية حيث لم يتناول في حياته لحما ولم يشرب خمرا فلتكن صلواته وبركاته معنا آمين (كتاب رقم ٤٧ تاريخ بمكتبة الدار البطريركية ص ٣).

١٤. مدة إقامته على الكرسي

وقد كان انتقال البابا متاؤس الثالث البطريرك (١٠٠) في يوم سبت العazar الموافق ٢٥ برميـات سنة ١٣٦٢ للشهداء أى في يوم ٣١ مارس سنة ١٦٤٦ ميلادية وأقام على الكرسي الرسولي مدة أربع عشر سنة وستة شهور وثلاثة وعشرون يوماً في أيام السلطان إبراهيم الأول وكان ولـى مصر وقت وفاته محمد باشا بن حيدر باشا.

١٥. تصويب مدة رئاسة البطريرك

وقد ورد في السيرة التي وضعها القمص مبرهم الطوخى وهى مدونة فى الكتاب رقم ٤٧ تاريخ البابى نكره من صفحة ١ إلى صفحة ٣ خطأ فى حساب مدة رئاسة البابا متاؤس الثالث للبطريرك (١٠٠).^١

فقد جاء فى هذه السيرة أن هذا البابا جلس مدة سبعة عشر سنة على الكرسى وهذا خطأ محض لأنه تولى الكرسى فى آخر سنة ١٣٤٦ ش أى في يوم ٤ النسي وكانت نياحته فى سنة ١٣٦٢ ش لأن خلفه البابا مرقس السادس البهجورى كرز فى منتصف برمودة سنة ١٣٦٢ ش فى أيام الخمسين كما جاء فى كتاب البشائر المخطوط بمكتبة كنيسة السيدة العذراء الأثريّة بحارة زويله وأن الفصح فى سنة ١٣٦٢ ش كان فى يوم ٣ برمودة وأن سبت العازر وقع فى ٢٥ برمدات سنة ١٣٦٢ وعلى ذلك تكون مدة رئاسته الصحيحة هي ١٤ سنة و٦ أشهر و٣ أيام منحصرة بين ٤ النسي سنة ١٣٤٦ ش و٢٥ برمدات سنة ١٣٦٢ ش.

البابا مرقس السادس

البطريرك (١٠١)

الشهير بالبهجورى

١. وطنه ونشاته ورهبنته

كان هذا الأب من أهالى ناحية بهجورة بالوجه القبلى تبع مركز نجع حملاى وبعد أن تلقى دراسته بكتاب القرية إسوة بأقرانه أولاد سكان هذه القرية واكتمل سنه وتقوى فى اللغة العربية واللغة القبطية ودراسة الكتاب المقدس وألم بالحساب والخط ترك ديار أهله وهاجر من بهجورة قاصداً دير القديس العظيم أنطونيوس وكان فى مدة اقامته بالدير عابداً ناسكاً مكباً على الإطلاع والدرس فى كتب الدير حتى ألم بكثير من العلوم الدينية والتاريخ الكنسى (كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٩٨ وفوه ص ١٨٧^٢).^٣

٢. اختباره للبطريركية

وكان فى تلك الزمان رجل من أكابر الأراخنة بمصر يدعى بالمعلم بشاره وكانت له كلمة مسموعة بين أراخنة الشعب فقام هو وجماعنة من الأراخنة المصريين بالبحث عن الراهب الذى يصلح لإقامته بطريركاً على الكرسى

الرسولى المرقسى بعد نياحة البابا متاؤس الثالث فوقع الاختيار على الأب مرقس البهجورى وأحضروه مكلاً بالحديد إلى القاهرة (نيل فوه ص ١٨٧١م).

٣. رسامة بطريركا

وفي يوم الجمعة ١٥ برمودة سنة ١٣٦٢ الموقعة ٢٠ أبريل سنة ١٦٤٦م في أيام الخمسين المباركة أى بعد مضي تسعة عشر يوماً على نياحة البابا متاؤس سلفه احتفلت البيعة المقدسة برسامة البابا مرقس السادس البطريرك (١٠١) وكان المتقدم في تكريسه أبا خريستونلو أسقف بيت المقدس المعروف بابن تركى (كتاب البشائر الأربع المحفوظ بمكتبة كنيسة السيدة العذراء بحارة زويلة تحت رقم ٣ فنيه ٣٤ عمومية (lahot) (وكتاب تاريخ وجداول البطاركة ص ٩٤) (نيل فوه ص ١٨٧١م).

٤. مقاطعة المعلم بشاره للبابا مرقس

وفي أوائل عهد البابا مرقس وقع بينه وبين المعلم بشاره مناقسة أدت إلى اشتداد المقاطعة بينهما ووقوع عداء عظيم بينهما (نيل فوه ص ١٨٧١م).

٥. منع الرهبان من التجول في البلاد

ولم تنته مقاطعته للمعلم بشاره حتى اصطدم مع الرهبان ولقي صعوبة كبيرى بسبب ذلك فإن هذا البابا كان شديد الغيرة على الرهبة والمحافظة على الرهبان داخل أديرتهم فأصدر أمراً يمنع فيه الرهبان من التجول في البلاد فتعصبوا عليه بزعامة الراهب قدسى وقاموا شكوى في حق البابا لوالى البلاد فقبض عليه ولقاه في السجن لأنهم إدعوا عليه عند الوالى بأنه يمد الرهبان في الفلقة ويضر بهم بالكرياج وقتل منهم من قتل وقد انكر البابا كل هذه التهم ونفاهما عنه.

وبعد ذلك لم تترك العناية الإلهية البابا في هذه الحالة المحزنة فأوحى للراهب قدسى أن يسعى لدى الوالى للإفراج عن البابا فطلع الراهب إلى الوالى وقال له إنه يتضح عدم صحة الشكاوى التي تقدمت في حقه فاطلقه الباشا بعد أن فرض غرامة كبيرة على أكابر القبط في الدولة (نيل فوه ص ١٨٧١م).

٦. رحلة البابا في الصعيد

وبعد خروج البابا من للحجز طلع إلى الصعيد واقام فيه مدة أربعة سنوات أخذ في أثنائها أموالاً كثيرة من الشعب بصفة جبرية ومع ذلك كان كثير الحمق وضع منه الجميع من أسلفه وقسوس وعلمانيين (نيل فوه ص ١٨٧١م).

٧. اضطهاد الدولة للنصارى

وقد نودى في البلد في ٢١ طوبه سنة ١٣٦٥ اش الموافق ٢٦ يناير سنة ١٦٤٩ أن لا يركب النصارى خيولا ولا يلبس شدوذا حمراء ولا طواقي جوخ حمراء ولا مراكيب وإنما يلبسون شدوذا زرقاء طول الواحدة عشرون ذراعا (كتاب الأسفار رقم ٥٠ مقدسة ص ١٤٤ بمكتبة الدار البطريركية).

٨. ترتيب عوائد ديارية لآباء أنطونيوس

وأثناء وجود هذا البابا في الصعيد رتب عوائد ديارية على بهجورة وفرشوط وأبو طشت وكوم البحا الدهسة ونجوع غانم وما جاورها لذمة دير القديس أنطونيوس ولم تزل هذه العوائد تحصل لهذا الغرض كما حلت بذلك في سنة ١٩٤٣ م البابا يوساب الثاني عندما كان قائماماً بطريركا وقد حضرت تحصيل هذه العوائد عند زيارته لبهجورة في ضيافة المرحوم كامل بك نكلا من أعيان بهجورة في سنة ١٩٤٥ م.

٩. عودة البابا من الصعيد

وبعد أن قضى البابا مرقس أربع سنوات في الصعيد عاد إلى مصر وكانت العداوة لم تزل قائمة بينه وبين المعلم بشاره المتقدم ذكره فلما استقر في مصر قام بزيارة المعلم بشاره واصطلاح معه وانصلح أمره قليلاً (نيل فوه ص ١٨٧١م) ولكن لوحظ أن كل العمال الذي جمعه هذا البابا لم ينتفع منه بشئ (نيل فوه ص ١٨٨٨).

تشييد قاعة للصلوة في كنيسة العذراء بحارة زويله

وقام هذا البابا في سنة ١٣٧٠ اش ببناء قاعة الصلوة فوق بيعة السيدة العذراء الأثرية بحارة زويله ولم تزل قائمة هذه القاعة إلى يومنا هذا وقد كرسها الأرمن الأرثوذكس لإقامة بيعة لهم مؤقتة فيها مدة قيامهم ببناء كنيستهم في شارع بين السورين (كتاب البسخة ٣١٢ طقس بالمتاحف القبطي).

١٠. ظوره على أوان ملأى بالمليرون في حارة زويلة

وقد عثر هذا البابا في حارة زويلة في الدور العلوى من بيعة السيدة العذراء على خمسة أواني من الزجاج ملأى بالمليرون المقىس كما عثر بعد ذلك على زقين آخرين فوضعها كلها بأعلى القلميّة الواقعه فوق مدفع البابا يوأنس الثالث عشر للبطريرك ٩٤ في نفس البيعة المذكورة (كتاب البسخة رقم ٣١٢ طقس بالمتحف).

١١. مشاهير الرجال في عصره

وينكر المؤرخون أنه وجد في أواسط الجيل السابع عشر للميلاد رجل قبطى من أهل الفضل والواجهة يكنى بأبى نقن المنوفى وضع كتابا فيما باللغة العربية شرح فيه حال الأقباط فى ذلك العصر وعوایدهم وأفرد فيه بابا مخصوصا للدفاع عن معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ومقابلة أحوالهم الدينية بأحوال غيرهم من المسيحيين ملتزما في كل أقواله وعباراته خطوة الأدب وخلو الغرض وعدم التحااشى في تضليل بعض الأمور والعوائد الدينية الجارية بين الكاثوليك على غيرها مما هو جار بين القبط. ويوجد هذا الكتاب الجليل في احدى مكتبات أوكسفورد ببلاد الإنجليز. وقد ترجم إلى اللغة اللاتينية ونشر بمدينة أوكسفورد في سنة ١٦٧٥ م وترجمه إلى الإنجليزية في سنة ١٦٩٣ م السر سانلىر. وعسى تأخذ الغيرة بعض أهل الفضل للبحث عليه وطبعه ونشره لإظهار فضل مؤلفه وإحياء اسمه والانتفاع به (تاريخ الأمة القبطية ليعقوب بك نخله ص ٢٥٤).

١٢. زيارة البابا مرقس

وانقل من هذا العالم البابا مرقس السادس في يوم الجمعة الكبيرة من الصوم المقدس ١٥ برمودة سنة ١٣٧٢ ش الموافق ٢٠ أبريل سنة ١٦٥٦ م بعد أن جلس على الكرسى البطريركى مدة عشر سنوات وظل الكرسى بعده خاليا مدة أربع سنوات وسبعين شهر وستة عشر يوما. وقد احتلوا بجنازته ونقوه فى مدفع البطاركة بكنيسة القديس مرقوريوس أبي سيفين بمصر (نيل فوه ص ١٨٧ وتأريخ وجداول البطاركة ص ٩٥).

١٣. حوادث البلاد بعد نياحة البابا مرقس

وفي ذلك الزمان والكرسي خالى بعد وفاة البابا مرقس السادس للهجورى حدثت فى سنة ١٣٧٥ ش الموافق سنة ١٦٥٨ - ١٦٥٩ ميلادية حوادث بمصر والصعيد فقد كان المتولى محمد بك المذكور على الصعيد والاشمونين والمنفلوطية نخل مصر فى أول فيضان النيل وطلع إلى الصعيد بغير إذن وقامت فتنة فى مصر على أثر ذلك.

وفي آخر شهر طوبية من السنة المذكورة عزل محمد بك المذكور وتولى مكانه سنجقا يسمى أحمد بك. وأما محمد بك المعزول فارسلوا له قبطان ليتوجه إلى بلاد الحبشة ولكنه توقف عن تنفيذ الأمر واستمر فى عناده وجمع جميع العريان بالصعيد والعساكر التابعين له والكشف المتوليين تحت يده واجتمعوا بناحية منفلوط.

وأما القبطان الذى أحضر الأمر له بالتوجه إلى بلاد الحبشة فلم يقبله وطرد الأغا الذى أحضره. ولما بلغ ذلك الحادث لسامع صاحب السعادة والى مصر جمع جميع العساكر الموجودة تحت يده فى مصر وحضر لناحية منفلوط وفي صحبته أربعة عشر سنجقا. ونهبوا أكثر بلاد الاشمونين. فلما قرروا من نواحى سمالوط وبلغ الخبر إلى محمد بك المذكور العاصى توجه لناحية ملوى وأقام بها سبعة أيام ويتغير إلى هرب جميع القوم الذى جمعهم تحت يده. ولما رأى ذلك تضائق جدا ورجع إلى ناحية منفلوط وأخذ ما قدر على حمله من الأموال وفر بها إلى الجبل الغربى من عرقوب بنى عدى فلما حضر صاحب السعادة الوالى إلى ناحية منفلوط جهز صحبته جماعة العسكر بقيادة الأمير خطاس بك وظلوا مقتفين أثره إلى أن وصلوا إلى الواح فقبضوا عليه وأتوا به إلى البasha الوالى بناحية منفلوط ثم أخذوه وساروا والوالى على رأسهم إلى ناحية ملوى وهناك أمر البasha بموته فخنقه الجندي ومات.

ولما توجه البasha لمصر مات الأمير خطاس لأنه كان أصيب بعيار ناري فى الواح اصابة أفضت إلى موته - وأما المعلم عوض القبطى الذى كان معروفا بنصرانى السنجق فقد سقى سماً ومات (نيل تاريخ فوه ص ١٨٨).

البابا متاؤس الرابع

البطريرك (١٠٢)

الشهير بالميري

١. مقدمة

لما تناهى البابا مرقس السادس البهوجوري في ١٥ برمودة سنة ١٣٧٢ اش الموافق ٢٠ أبريل سنة ١٦٥٦ م ظل الكرسي البطريركي بعده خالياً مدة أربع سنوات وسبعة أشهر وستة عشر يوماً. لأن شعب مصر قد سُئم من تصرفات هذا البابا حتى صار شعراً هم الذي تمسكوا به طول مدة الخلو الجملة الآتية: "مالنا حاجة إلى بطاركة وكفانا ما قد حصل" (ذيل فوه ص ١٨٨).

٢. اختيار من يقيمه بطريركا

فطال الزمن وكررت الأعوام وظل الكرسي خالياً هذه المدة الطويلة ثم قام الأساقفة وأقمعوا الشعب بضرورة العدول عن رأيهما والنظر في أمر اختيار بطريرك حذير باسناد مركز الرئاسة الدينية السامية القدر إليه.

٣. ترشيح اثنين للبطريركية

وبعد البحث والاستقصاء وقع اختيار البعض على الأب جرجس رئيس دير السيدة العذراء بالبرمومن واختار البعض الآخر القمص يوحنا بن الغاش من ديو البرموس أيضاً. لم يمكن التوفيق بين الفريقين حتى زال النفور من بين النفوس ووقع اختيار على الأب جرجس وذلك ذكر ما حدث بالتفصيل. بعد تسجيل تاريخ البطريرك المنتخب (ذيل فوه ص ١٨٨٤) (قد نقلت هذه الحوادث من كتاب ٣٤٣ سنكسار وجه ١٦٠ بدير أنطونيوس).

٤. عائلة القمص جرجس البرموسى الملقب بالميرى

وكان أبوا هذا القمص من المسيحيين البررة أصحاب الصدقات والحسنات وكان من أغنياء قرية مير من أقليم الاشمونيين بكرسي قسقام المعروف بالمحرق. وقد رزق الوالدان ثلاثة أولاد ذكور منهم الأب جرجس وكان محبوباً أكثر من أخيه لنجابته ونكمائه. وقد اعتنى والاه بتربية التربية الدينية الصالحة فلم يكتفه بالمضي إلى الحقل والاشتغال بالزراعة ولا إلى مراعي الموانئ أسوة بأخويه بل أدخله المكتب فتعلم القراءة والكتابة ودرس الكتب المقدسة وحفظ

الالحان الكنسية والتراتيل الروحية وكان يارعا فيها أكثر من أقرانه وكان يقوم بتفسير معانى الآيات والطقس لكل من يسألة.

فاما بلغ حد القامة زهد هذا العالم الزائل ومضى من بيت أبيه إلى دير السيدة العذراء المعروف بدير البرموس ببرية شيهات بوادي النطرون.

وبعد أن لبث في الدير مدة ست سنوات رأى في حلم أن أبوه حزينين بسيبه وقلوا عنه أنه مات حيث لم يعرفوا له مكاناً لأنه لم يخبر أحداً بما نوى عليه من الالتحاق بالرهبنة ودخول دير البرمос. فقام من نومه متزعجاً من هذه الرؤيا واستشار أخوه الرهبان في ذلك فوافقوه على أن يسافر إلى مير ليطمئن والديه عليه وكان الراهب جرجس مشهوراً باسم جرجس الميرى نسبة لبلدته مير. فمضى إلى مير بلده وزار والديه وأخوه وأآل عشيرته فلما رأوه فرحوا به كثيراً ثم أراد أبوه أن يتبعه عن الرهبنة ويزوجه فلما شعر الراهب القديس بهذه الحركة وعلم بحقيقة ما نوى عليه والده من أحد أصدقائه هرب من البلدة وعاد مسرعاً إلى ديره دون أن يشعر به أحد. ففرح الأخوة بعودته فرحاً عظيماً.

وظل الراهب جرجس مقيناً في ديره عاشاً بمحبة واحلاص مع أخوه الرهبان القديسين وكان يقوم بخدمتهم روحياً ومانياً حتى قرروا مكافأته على ذلك برسامته قساً على الدير. وبعد رسامته قساً ظل يك في السهر لإقامة الصلوات والفرض التقشفية في سواعيها وأوقات فراغه من العمل أكثر مما هو مفروض على الرهبان. وكان يصوم من الليل إلى الليل واستمر على هذا المنوال سنين عدة حتى استحق رضا السيد المسيح بأعماله الصالحة وعباداته المرضية المقبولة عند الله.

٥. الخلاف على اختبار البطريرك

ولما تتيح البابا مرقس السادس ظل الكرسي خالياً مدة طويلة زالت عن الأربع سنوات قلق الاساقفة من طول الانتظار فاجتمع المجمع المقدس وقرر بالاتفاق مع الأرхиصة والشعب على ضرورة البحث عن الذى يصلح للجلوس على الكرسي الإسكندرى. فقاموا بالبحث في سائر الأئيرة عن الرهبان الذين يمكن اختيار البطريرك من بينهم فلهم الأباء على الأب جرجس الميرى وكان فى ذلك الحين رئيساً لدير البرمос ومقيناً بناحية طوخ النصارى وقتذاك للإشراف على أطيان الدير ونحوه فلما فاتحوه فى أمر ترشيحه للبطريركية فرفض معتبراً لهم

ولم يشاً أن يحضر معهم فاتجه نظرهم نحو القصر يوحنا بن الغاش وكان رجلاً قديساً أيضاً مشهوداً له بالورع والعلم أسوة بزميله القس جرجس الميرى ولكن ترشيحه لم يجد تأييداً من الشعب.

وبعد ذلك أرسل الأرخنطة وفداً من أعيان الكهنة والشعب بصحبة جندارية لإحضار القس جرجس الميرى من جهة طوخ النصارى مركز إقامته وقتئذ. فلما وصلوا بلدة طوخ قابلوه هناك وألقوا القبض عليه لامتناعه عن الحضور معهم وأتوا به إلى القاهرة قوة واقتداراً وسجنه في بيت الوالى مع زميله القمرقس يوحنا السالف الذكر وظلا مسجونين مدة أربعين يوماً.

ولكن الشعب انقسم في اختيار الأصلاح منهما وتسلك كل فريق بمرشحه حتى طال مدة حجزهما في بيت الوالى وتعطلت رسامة البطريرك مدة ثلاثة أشهر بسبب هذا الإنقسام.

وقد شاهد الجندي في بعض الليالي أثناء حراستهم الراهبين كان قد ينالا يضئ فوق رأس الراهب جرجس الميرى وهو في السجن.

وبعد أن اشتد الخلاف بين الفريقين واستحكمت حلقاته وطال الزمن وظل للكرسي خالياً حتى تيسر إزالة هذا الخلاف وتم الصلح بينهما واجتمع كل منهما على تقديم القس جرجس الميرى البرamosى ورضى به الشعب مجتمعاً (نيل فوه ص ١٨٨ أو ١٨٩).

٦. رسامة القس جرجس بطريركاً

قدم القس جرجس الميرى لرسامته بطريركاً في كنيسة القديس مرقوريوس أبي سيفين بمصر القديمة في يوم الأحد الأخير من شهر هاتور الموافق يوم ٢٠ منه سنة ١٣٧٧ش (٦ ديسمبر سنة ١٦٦٠م) في أيام السلطان محمد الرابع (نيل فوه ص ١٨٩).

٧. البابا متاؤس الرابع البطريرك (١٠٢)

وكان يوم رسامة البابا متاؤس الرابع يوماً مشهوراً في البلاد المصرية فكان فرح النصارى على اختلاف طوائفهم فرحاً عظيماً حيث تحققت الأحلام بعد طول الانتظار واستئثارت البيعة القبطية الإرثوذكسية بقداسته.

وجلس هذا البابا على الكرسي المرقسى داخل القلبة البطريركية بكنيسة السيدة العذراء الأثرية بحارة زويلة وبدأ بالنظر في الأحكام الشرعية والأمور

البيعة. وكانت أيامه كلها سلام وهدوء وطمأنينة في سائر البلاد (نيل فوه ص ١٨٩).

٨. أخلاقه وتواضعه مدة رئاسته وأعماله

وكان هذا البابا كثير التواضع لم يتغير حاله عن رهبته وحياته الت箇شفية التي كان يمارسها في نيره فما كان يحب التعاظم ولا التفاخر فما كان يعتلي عرشه ويجلس على كرسى البطريركية في البيعة مطلقاً بل كان يظل واقفاً بجانبه.

وقد جرت على يديه عجائب كثيرة سجلت له في سنكسار دير القديس أنطونيوس. وكان يفتقد الأرامل والأيتام ويزور المحبوسين ويواسيهم ويعتني بالرهبان المنقطعين في الأديرة ويعتني بأمرهم ويزودهم بما يحتاجونه وبالاختصار كان محباً للبرارى وساكنيها والكنائس والبيع وشعبها.

وكان رغم كل هذه الأعمال العظيمة لا يطلب من أحد زيادة عما يستحقه من اللذيات والرسوم للجارى بها العادة (نيل فوه ص ١٨٩).

٩. حدوث حريق جهة حارة زويله

وفي شهر بشنس سنة ١٣٨٦ حصل حريق هائل في جهة باب زويله واستمر أيامًا حتى مات فيه خلق كثير وتخربت فيه عمارت تلك الجهة (التوفيقات الالهامية ص ٥٤١).

١٠. انتشار وباء عظيم

وفي سنة ١٣٨٧ اش انتشر موت عظيم بمصر ونواحيها اسموه الحريق وفني كثير من الخلق بسيبه (نيل فوه ص ١٨٩).

١١. نقل الكرسى البطريركى إلى حارة الروم

طلت كنيسة حارة زويله المعروفة بكنيسة السيدة العذراء الأنطورية مقراً رسمياً للبطاركة من عهد البابا يوحنا الثامن البطريرك (٨٠) منذ سنة ١٣٠٣ ميلادية إلى أيام البابا متاؤس الرابع وهو آخر من سكن من البطاركة في حارة زويله وأول من نقل الكرسى البطريركى من حارة زويله إلى حارة الروم سنة ١٦٦٠ عقب رسامته.

١٢. الكنيسة الحبشية

وقد قام هذا البابا برسامة مطراناً على الكنيسة الحبشية في سنة ١٦٦٥ م باسم المطران خرسطونتو وظل بها حتى تاريخ ثيادته في سنة ١٦٧٢ م فأقام لهذه المملكة مطراناً بدله يدعى الأنبا شنوده الذي ظل رئيساً للكنيسة الحبشية حتى سنة ١٦٩٤ ميلادية وكان الأنبا خرسطونتو في عهد الملك واسيليوس الذي تولى من ١٦٣٢ إلى ١٦٦٧ م وعاصر خليفته الملك يوحنا الأول الذي تولى من سنة ١٦٦٧ إلى ١٦٨٢ م وكان الأنبا شنوده مرسوماً في أيام الملك يوحنا الأول وعاصر الملك ياسو الأول الذي تولى الملك من سنة ١٦٨٢ إلى سنة ١٧٠٦ م (شين ص ٢٤٧ و ٢٦٩) (نيل فوه ص ١٨٩).

١٣. حوادث هامة في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية

في عصر البابا متاؤس الرابع، للعلامة الأب فانسليب الدومينيكانى

إن فانسليب هو أب دومينيكانى زار الديار المصرية لفترة الأولى في سنة ١٦٦٤ ميلادية ووضع فيها تاريخاً للكنيسة القبطية نشره في سنة ١٦٧٧ باللغة الفرنسية والزيارة الثانية حصلت في سنتي ١٦٧٣-١٦٧٢ م ووضع عنها مؤلفاً عنوانه "علاقة جديدة في شكل مسيرة يومي للسياسة في مصر" وبما أن الكتاب الأول هو عبارة عن تاريخ الكنيسة حسب ما نقله عن ابن كبير من كتابه "مصر راح الظلمة في إيضاح الخدمة" وعن ابن سباع من كتابه "الجوهرة النفسية في علوم الكنيسة" وجميع ما ذكره فيه وارد في تاريخ البطاركة فلم تنقل عنه شيئاً إذ ليس فيه من جديد.

أما الكتاب الثاني فملئ بأخبار حوادث هامة خاصة بالكنيسة القبطية فاقتطف منه زبدة أخباره وقد كان الأب فانسليب معاصرًا للبابا متاؤس الرابع البطريرك (١٠٢) وكانت بينه وبين الأب فانسليب الدومينيكانى صلة محبة وتقدير. وقد قام بزيارته في يوم ٢٧ مايو سنة ١٦٧٢ م لكي يتحصل منه على توصيات له لرؤساء الديرات القدس أبى مقار لأنه عزم على زيارتها فكتب له البابا متاؤس عن طيب خاطر التوصيات المطلوبة.

(١) قيد حرية البابا متاؤس

وفي يوم ١٣ سبتمبر سنة ١٦٧٢ ميلادية قام الأب فانسليب بزيارة البابا متاؤس ليدعوه لتناول الطعام عنده فاعتذر له بعدم خروجه من القلاية البطريركية

منذ سنة خشية اعداء الاتراك عليه. وقد كان قد استه يشكوا من معاملتهم إذ أنهم كانوا يسمون كل بطاركة الطوائف الأخرى بالخروج بحرية في المدينة فلا يتعرض لهم أحد وكانتوا دائمًا على اتصال بمن يشاون أمة هو فكان الوحيدة الموضوع تحت مراقبة الاتراك فكان متنوعاً من الخروج من قلاته كما كان محظياً عليه الاتصال بالجاليات الأجنبية وكذا كان غير مسموح له بالسفر إلى أية جهة دون أن يستولى عليهم الشاك بأنه سيتداول في أشياء ضارة بالدولة فكانت حياته مهددة في كل لحظة (ص ٢٨٨).

(ب) اضطهاد الاتراك للقبط في عهده

هذا ويجب القول بكل صراحة أنه ما من طائفة في مصر من الطوائف غير الإسلامية كانت تعامل باضطهاد شديد غير أقباط مصر أصحاب البلاد الأصليين ويعود هذا الأمر إلى أنه لم يجر أحد منهم أن يجعل الاتراك يعترفون له بالعلم والفضل والإمام بالمسائل المالية وغيرها أو يعلمون حساباً لمقدار سلطته ونفوذه لأن الذين كانوا من القبط أقوياء وأغنياء قد ذهبوا ضحية قسوة المسلمين لأنهم كانوا معتبرين في نظرهم أنهم عکارة العالم حتى وصلت معاملتهم للقطط أقل قيمة من معاملتهم ليهود مصر فكانوا يسيئون إليهم ويعاملونهم حسب أهوائهم الفظيعة فكانوا يغلقون لهم الكنائس ويقللون عليهم أبواب بيوتهم لأنهم الأسباب ويطمئنونهم ظلماً فاضحاً حتى يرغمونهم بدفع غرامات مالية باهظة.

وقد قاسى القبط في شهر سبتمبر سنة ١٦٧٢م اضطهاداً عظيماً لأن بعض الجنديين قاموا بنجاح امرأة خليعة والقوا جثتها بعيداً عن بركة الازبكية فقام الشوياشى ظلماً وعدواناً بإغلاق كل بيوت النصارى المتاخمة لهذه المنطقة وأجبرهم على دفع غرامة قدرها ألفاً غرش دبة لهذا التم المهدور إذا أرادوا أن يفتحوا بيوتهم ويسعوا على معاشهم (ص ٢٨٩ و ٢٨٨).

(ج) فريضة الضرائب على المسيحيين في هذا العصر

وقد نال القبط في هذه السنة أيضاً اضطهاداً فظيعاً فقد فرض عليهم الوالي إبراهيم باشا ضريبة إضافية علوة على الضرائب العادلة بالطريقة الآتية: قد كان مفروضاً على القبط لغاية هذه السنة أن يقوموا كلهم بدفع ضريبة موحدة كما أنهم لم يكونوا ملزومين بسدادها لخزانة الوالي المعظم فكان البعض يسددها البعض المساجد والبعض الآخر للشيخ البكرى الذى كانت له منزلة كبرى

بصفته سليل الخليفة أبو بكر الصديق الذي كان خليفة النبي محمد. وكان البعض أيضاً يقوم بدفعها لبعض العظام الذين يطلق عليهم السادات. فالضرائب المدفوعة للمساجد أو المسادة كانوا يطلقون عليها اسم الالتزام الشرعي والتي لخزينة الدولة يطلق عليهم اسم التزام السلطان الأعظم.

فالنوع الأول كانت قيمته بسيطة إذ لم يتعذر في النادر مبلغ القرشين أما النوع الثاني فكان مقدر إلى الوقت الحاضر بمبلغ ١٢٨ باره وهي تساوى أربعة قروش وربع وخلاف ذلك كانت الكفور والضياع مشتركة في سداد هذه الضريبة إلا أنها كانت مختلفة القيمة في البعض عن البعض الآخر وذلك بسبب نسبة عدد المسيحيين المقيمين فيها. ولما كان الخولي أو الجابي الذي يحضر لتحصيلها يقدر قيمتها بحسب مقدرة دافعيها فكان القراء يدفعون قليلاً والأغنياء كثيراً ولم تكن الضريبة غير عادلة (ص ٢٩٠ و ٢٩١).

أما في سنة ١٦٧٢ فقام إبراهيم باشا الوالي بتوحيد الضريبيتين وجعلهما باسم ضريبة للسلطان المعظم على قدم واحد بين الجميع أي أنهما يقومون أيضاً بدفع مبلغ ١٢٨ باره يسدد الوالي منها ما يخص السادات والمساجد ويودعباقي في خزينة السلطان.

وهذا النظام الجديد وضع فراء الغيط في حالة اليأس والبلومن حتى اضطروا إلى للفرار منها إلى الجبال عندما يحضر الجباة لـتحصيل تاركين وراءهم كل شيء للتخلص من نير المعاملة القاسية التي كانوا يعاملونها بها. لكنى يعرف جبة الأموال الذين كانوا يقومون بسداد الضرايب كانوا يتذرون للمسدد ذكره من الورق الملون حاملة خاتم رئيسهم وحاوية اسم المسيحي وبنته و مديرته وسكنه وسنه وتاريخ اليوم والشهر والسنة التي سدد ضريبيتها ولكنهم لا يذرون كل مبلغ للماية وثمانية وعشرين باره التي يطالبون بها بل كانوا يسجلون فيها فقط المائة وثلاثة باره لأنه لا يدخل غير ذلك المبلغ في خزينة السلطانة والباقي وقدره خمسة وعشرون معدنا كانت تؤخذ على نمة ملتم الخراج ليقوم منها بسداد المصاريف للثانية التي يتذرونها في هذا السبيل للقيام بدفع مرتبات الأشخاص العديدين الذين كان يستخدمهم في عملية التحصيل وكان يحمل المسيحيون معهم بصفة دائمة هذه التذكرة ليقدموها إلى رجال الالتزام وقت المطالبة لأنها كانت تقوم مقام إيصال المسداد (ص ٢٩١ و ٢٩٢).

(د) المعجزة التي حدثت لأيقونة رئيس الملائكة ميخائيل

يحتفظ القبط في كنيسة القديس مرقس البشير بالثغر الإسكندرى بأيقونة أثرية لرئيس الملائكة القديس ميخائيل وهى من صنع القديس لوقا البشير حسب المتوانى عند القبط من التصصن التقليدية المحافظين عليها. وقد صرخ المسيو لو كاسول مهندس الأمة الفرنسية فى هذا الثغر أن البندقانيين تمكنا من اختطاف هذه الأيقونة من مكانها بالكنيسة وأرداوا الابحار بها من العينا الإسكندرى حول خمس مرات دون أن يستطيعوا السير خطوة واحدة للابحار بها حيث حالت دون سفرهم قوة قاهرة كلما أرادوا الإفلات بها فاضطروا إلى إعادة هذه اللوحة الأثرية إلى مكانها الأصلى فى الكنيسة.

وقد انتشر خبر هذه المعجزة فى كل أنحاء المدينة حتى وصل إلى مسامع بعض العربان للرحل. فقر رأى هؤلاء البدو على سرقة هذه اللوحة الأثرية وبيعها للأفرنج. فقاموا ذات ليلة بالاعتداء على الكنيسة وكسروا بابها وانتزعوا اللوحة من المكان المودعة فيه. ولما أرادوا حملها للخروج بها لم يستطيعوا التحرك بها حتى اضطروا فى آخر الأمر إلى ردها لمكانها الأصلى كما فعل من قبلهم البندقانيون ولم تزل هذه اللوحة العجيبة باقية بالكنيسة حيث شاهدها فانسلب مرارا عديدة (ص ١٨٣ أو ١٨٤).

وقد بحثت عن هذه الأيقونة فى الثغر الإسكندرى فى سنة ١٩٤٤ م فلم أجد لها أثرا ولكنى علمت من وكيل البطريركية إلى وجود صورة أثرية قديمة لرئيس الملائكة ميخائيل فى كنيسة مار مرقس برشيد ولما قصصت هذا الخير على صديقى المرحوم كامل بك تكلا وافتدى على زيارة رشيد لهذا الغرض وفعلا توجهنا إليها فوجدنا بالهيكل القبلى جزءا مجوفا داخله صورة عجيبة أثرية قديمة من العصر المسيحى لرئيس الملائكة ميخائيل تمثل نصفه الأعلى من جسمه وقد لاحظنا أن هذه الصورة موضوعة فى داخل الحائط بطريقة تمنع سرقتها بخلاف وضع باقى الصور القيمة الأخرى الموجودة بهذه الكنيسة. وربما يقول معترض وما دخل كنيسة رشيد لصورة فى الثغر الإسكندرى؟ فالجواب على ذلك سهل جدا لأنه عندما دخل الفرنسيون بقيادة بونبارت فى آخر الجيل الثامن عشر واحتلوا المدينة قام بهم الكنيسة المرقسية بالثغر الإسكندرى ومنازرتها الحصينتين خشية أن يستولى عليها الإنجليز ويغتصبوا بها لمقاومة الفرنسيين فاضطر كهنة الكنيسة

إلى حمل أواني البيعة وأدواتها وكتبها ونخائرها وأيقوناتها إلى مدينة رشيد مدة الاحتلال الفرنسي لإقامة الشعائر الدينية بكنистها لأن الشعب القبطي الإسكندرى قد هاجر للغير واحتى فى رشيد مدة هذا الاحتلال.

وقد وضعت أيقونة رئيس الملائكة المشار إليها داخل الحائط على الصفة التى هى عليها الآن خشية محاولة سرقتها وبقيت الكتب والصورة وأشياء كنسية أخرى برشيد إلى أن نقلها مثلث الرحمات البابا كيرلس الخامس إلى الإسكندرية قبيل وفاته ببعض سنين وظلت الأيقونة باقية فى مكانها ولم يفكر أحد فى أمر ردها إلى مكانها الأصلى بكنسة القديس مرقس الإنجيلى بالغير الإسكندرى.

(ه) وصف الأديرة البحري

كان فى الزمن السابق فى بربة شيهات بوادى النطرون سبعة أديرة وهى:

(١) دير القديس مقاريوس (٢) دير القديس يوحنا القمص الشهير بالقصير
(٣) دير أبا بيشوى (٤) دير الآبوبين القديسين مكسيموس ودوماديوس (٥) دير
أبا موسى الأسود (٦) دير القس أبا يحنون كما أى الأسود (٧) دير السيدة
العذراء الشهير بالسريان.

وكان يوجد خلاف هذه الأديرة السبعة ثلاثة قلاية للمتعبدين والمتوحدين
الذين يخدمون الله ويعبدونه فى وحدتهم فى هذه الصحراء.

ولا يوجد فى سنة ١٦٢٢ م من كل هذه الأديرة إلا اثنين وهم المهام
فيها: دير السريان ودير أبا بيشوى وفيهما مياه عذبة وتوجد بالدير الأول
كنستان واحدة للسريان والثانية للأقباط.

ويرى فى دير السريان شجرة عجيبة نبتت من عصا القديس افرام كان قد
تركها هذا القديس على الباب عند توجهه لزيارة أحد الرهبان (*) فنبتت فى الحال
جذورها وأورقت أغصانها وأزهرت ويقال أنه لا يوجد من نوعها شجرة أخرى
فى القطر المصرى.

وفى دير أبا يحنون القصير الذى هو الآن فى حالة رديئة شجرة نبتت أيضا
بأعجوبة من عصا هذا القديس عندما قام بزرعها اطاعة لأمر رئيسه ثم والاهما

(*) القديس أبا بيشوى فى مغارته الكائنة حاليا فى مؤخرة كنيسة المريان.

بالسقى حتى نبت وأشرت وأنه بسبب الطاعة في غرسها سماها الرهبان إلى اليوم
بشرة الطاعة.

وفي الطريق المؤدى من دير السريان إلى جبل أحجار النسر يرى الإنسان
مجرى نهر بلا ماء قيل انه جف من أجل المحافظة على أمن الرهبان بصلوات
القديسين المتعبدين للقدماء الذين كانوا يسكنون على شاطئه لقطع الطريق على
للصوص الذين كانوا ينحدرون على هذا النهر (ص ٢٢٩-٢٢٧).

(و) أخبار الفيوم ومطرانها القديس ميخائيل العالم الجليل

قام الأب فانسليب بزيارة الفيوم ولما وصلها سكن في حي المسيحيين عند
رجل تركي يدعى تتر شعبان وكان رجلاً شريفاً. ولما استراح في مسكنه وجده
معته نحو للتعرف بسيادة أسقف الابرشية المدعو أباً ميخائيل وكان جلاً شريفاً
مشهوراً بالعلم والتقوى فلما اتصل به تكرم الأسقف بزياته والسكنى معه عدة أيام
وقد كان لهذا الأسقف الفضل الكبير على فانسليب لأنه أرشده بكل وضوح على
معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وطقوسها التي قام بنشرها في كتابه الذي
وضعه عن كنيسة الاسكندرية (ص ٢٥٢).

ولما انتقل الآبا ميخائيل أسقف الفيوم إلى قديمين للإعتكاف بها بعيداً عن
مضائق الكاشف زاره الأب فانسليب وقد كان مرتبياً ثالثاً بين الآباء ومصرحوباً
بأخذ الجندرمه وخانمه التوبي فاضطرب رجال الأسقف من قدومه بهذا الرزى
التركي وعندما وصل خبر قドوم هؤلاء الفرسان الثلاثة المجهولين وبحثهم عنه
اضطرب الأسقف اضطرباً مفعجاً لاعتقاده بأنهم مبعوثون من الكاشف لمضايقته
وله العذر في ذلك التخوف لشهرة هؤلاء المتوجهين في مضائق النصارى
والاعتداء عليهم. وقد أخذت الدهشة تستولى على أفكاره حتى ارتعب من هذه
الزيارة الغير مرتبة ولم يشجع إلا بعد أن اتضح له حقيقة الأمر وأن الأب
فانسليب أتى لزيارة لاستقاء المعلومات التاريخية والكنسية منه فاستقبلهم الأسقف
في منزله البسيط وأجلسهم في قاعة الجلوس وأكرم ضيافتهم وبعد أن قضوا عنده
عدة ساعات يتحديثون انصرفوا عائدين إلى الفيوم (ص ٢٦٠).

وقد قال الأسقف للأب فانسليب إنه كان في الزمن السابق في هذه المدينة عن
ماء مباركة تعرف باللغة العربية بعين المندورة وفي كل يوم خميس عهد من من

كل سنة يجتمع الكثيرون من المسيحيين ويشربون من ماء هذه العين على سبيل البركة (ص ٢٦١).

ولقد زار فانسليب مدينة سورس في يوم الأحد ١٣ يوليه وكان في صحبته الخدم التابعين له خلاف عدد كبير من المسيحيين الذين حضروا معه. وبعد أن أخذوا قسطاً من الراحة في بيت العمدة تجول فانسليب في المدينة وزار الكنيسة القبطية المكرزة على اسم رئيس الملائكة القدس ميخائيل ولو أن حالاتها كانت فقيرة إلا أنه لاحظ فيها وجود قطعة من الحجر مربعة الشكل محفور عليها ثلاث صور صغيرة الأولى منها صورة رئيس الملائكة ميخائيل والوسطى صورة السيدة العذراء مريم حاملة ابنها على ذراعها والثالثة صورة الملك القدس رافائيل ومحفور تحت كل صورة اسم صاحبها باللغتين القبطية واليونانية. وقد روى راعي الكنيسة أن هذه القطعة الأثرية كانت موضوعة في خرسان الكنيسة ولما لاحظوا أن الشعب صار يتبعدهم اضطروا إلى وضعها في إحدى أركان الكنيسة لمنع الشعب من الاستمرار على التبعده عنها تلك العبادة الوثنية (ص ٢٦٥ و ٢٦٦).

(ز) دير الخشاب بمديرية الفيوم ومدينة أبي الأباء يعقوب

ويبعد هذا الدير عن الفيوم مسيرة ساعتين في الطريق وهو من الأديرة القديمة العهد ولكنه تخرب كله تقريباً عدا الكنيسة الملحة به المكرزة على اسم الملك غبريل وهي بدبيعة الشكل منقوشة كلها من الداخل بصورة تاريخية منقوشة من الكتاب المقدس وسفى صحن هذه الكنيسة مرفوع على أعمدة مكونة من عدة أحجار. ويوجد بأسفل هذه الكنيسة كنيسة أخرى مستعملة لحفظ مؤونة الدير فيها. وقد بنيت هذه الكنيسة بمعرفة من يدعى "أور" بن أيرسيت الساحر المشهور وقد رزق به من ابنه ملك المشرق. وقد ترك أور أخيراً للسحر الذي تعلمته من والده واندفع في طريق الصلاح والتقوى والهدى حتى أصبح بعد ذلك أسفلاً على الفيوم فقام ببناء هذه ال碧عة المقدسة. وتقول التقاليد أن العذراء القديسة الطاهرة هي التي وضعت أساسها وأساس منبئها وأن رئيس الملائكة ميخائيل هو الذي خطط لخرسان مع باقي أجزاء الكنيسة ويشاهد على الجبل القائم خلف هذه الكنيسة من الجهة القبلية خراب قرية قديمة صغيرة كانت متصلة بها ويقول القبط أنها كانت مسكونة بمعرفة أب الآباء يعقوب ولذلك يسمون هذه الخراب الآن باسم مصوّلة

يعقوب وفي أعلى الجبل المذكور توجد عدة حجور كانت مستعملة لسكنى المتبعين وهي صغيرة الحجم (ص ٢٧٤ - ٢٧٧).

(ج) دير القديسة دميانة في البراري في سنة ١٦٧٢

لما حل موعد قيام القبط بالاحتقال بعيد ظهور القديسين في دير القديسة للغراء دميانة وفـد الزوار من كل ناحية للاحتقال بعيدها وهو عيد تشنين بيعة هذه القديسة وذلك في يوم ١٧ مايو سنة ١٦٧٢ ميلاد الموافق ١٢ بشنس سنة ١٣٨٨ هـ وقد وصف الاب فانسليب الذي حضر العيد وصفاً دققاً لهذا الدير الشهير فقال:

"إن كنيسة دميانة هي كنيسة قبطية شهيرة شيدت في ريف سهل منبسط ومتسع ولكنه خصب في مديرية الغربية الكائنة في جزيرة دلتا النيل وهذه الكنيسة تقع بالقرب من المكان التي كانت موجودة عليه مدينة نجوم القديمة التي تدعى بالقبطى ^{نجوم} التي تقع في غربها مدينة المحلة الكبرى وفي شرقها فرع النيل الذي يصب في البحر جهة البرلس وفي بحريها البحر الأبيض المتوسط.

ويحوى بناء هذه الكنيسة على ٢٥ قبة تجعل منظرها من بعد جميل الرؤيا رغم عدم إنتظام وضعها واختلاف حجمها. والكنيسة من الداخل لم تكن تامة البناء وليس بها إلا معبد واحد مبيض بالجير وهو الذي يتم فيه الظهور الخالي. ولا يحوى هذا المعبد إلا على منبر واحد حسب التقليد المتبوع في الشرق. ويقصد بالقباب جميعها حلية المباني فقط من الخارج ودخول الضوء منها داخل للكنيسة لأن في كل قبة من هذه القباب طاقة أو طاقتين صغيرتين يتسرّب منها النور.

والمعبد الذي يحدث فيه الظهور كان في الجهة البحرية على يمين الداخل بالقرب من الباب (ص ١٥٨ و ١٥٩).

ويعتقد المصريون مسلمون وأقباط أن القديسة دميانة صاحبة البيعة تظهر في قبتها مدة ثلاثة أيام العيد وأن الخيالات التي تتحرك في القبة هي حقيقة وليس انعكاسات ضوئية لأن الشبابيك التي يمكن أن تدخل منها هذه الأضواء هي قائمة في الجهة البحرية للكنيسة وهي لا يدخل منها الضوء الشمسي بالمرة.

وكان المرحوم إبراهيم بك نخله يتوجه سنويا إلى أطياباته في الجهات القريبة من دير القديسة دميانة فدعا ذات يوم عائلته التي كانت موجودة معه وقت عيد هذه الشهيدة العظيمة لحضور الاحتقال بهذا العيد فنصب الخيم التي تلزمها في ساحة المولد ولما بلغه خبر ظهور القديسة في قبتها انكر ذلك واشترط أن يسد الفتحات

الموجودة بالقبة بالخيام حتى لا يتسرّب منها انعكاس الأضواء الخارجية فكان له ذلك وفي ليلي العيد الأخيرة الثلاثة أثناء الصلاة ليلاً حصلت المعجزة العظيمة بأن ظهرت للقديسة بجلال أصواتها في ساحة الكنيسة ولبثت تمر فيها مراراً عديدة حتى آمن الجميع بظهورها الحقيقي وقد حدثى بهذا الواقع كثيراً لأنى كنت أحد أولاد أخيه وأصطبغنى أحد أصدقائي المتعوّبين على هذه الزيارة السنوية هو وعائلته وزرت هذا المكان المقدس وفي ليلة العيد المذكورة ظهرت هذه العزراء على شكل طائر ضخم الجسم كبير الأجنحة يلف حول أرض المولد كثيراً حتى رأه الكبير والصغير والسبب في عدم الظهور داخل الكنيسة القديمة أن الأنبا باسيليوس الكبير مطران القدس والدقهلية والشرقية والغربية وقتذا قام ببناء كنيسة في الدور العلوى فوق كنيسة قبة الظهور وهدم هذه القبة وابطلت العبادة في الكنيسة القديمة فأصبحت من وقتها تظير بالكيفية المذكورة نفعنا الله ببركتها وشملنا بنعمتها آمين.

هذه هي زيادة ما أمكن اقتطافه من كتاب الآب فانسليب الدومينيكياني الثاني ولنعد الآن إلى استئناف سيرة البابا القديس متاؤس إلى آخر أيامه.

١٤. فشل المؤامرات الشيطانية أمام دعاء وتقوى البابا متاؤس

ففي أيام هذا البابا دخل الشيطان في قلب رجل نصراني وجعله يمضى إلى بيت الجوالى ويغرم المسيحيين فاشتد بهم الحال ورفعوا شكواهم إلى البابا متاؤس فحضره أمامه ونهاه قلم يرتدع فحرمه ومات شر ميته.

وفي دفعة أخرى حضرت إلى البابا متاؤس إمرأة تشكوا له من بعلها بأنه طلقها وتزوج بأخرى فارسل البابا للرجل وامرأنه الجديدة فحضرها ولما رآها البابا أمر بالفصل بينهما فاعتراضت الإمارة قائلة "كيف يكون ذلك وأنا حامل منه" فقال لها البابا "إن السيد المسيح يفصل بين الشرعين" وبينما هي خارجة من باب القلالية نزل الجنين من بطنها. فخاف الرجل وبادر إلى رد إمرأته الشرعية. وبعد هذا الحادث صار البابا مكرماً مهاباً عند كل الشعب.

وفي ذات مرة أراد بعض الحنفاء أن يهدموها بيعة مرقوريوس بمصر القديمة وتوجهوا إلى الديوان وعيروا من قبل الدولة أغا للقيام بتتفيد هذه المهمة فلما بلغ الخبر للبابا متاؤس أغتم غماً شديداً وأقام ليلة ساهراً في مناجاة ربه سبحانه وتعالى وشهيدة القديسين مرقوريوس. فما كاد الجند ينامون حتى وقع عليهم حاثط

فما توا جميعاً وشاع الخبر في المدينة كلها فاضطربوا وعادوا عن مشورتهم في المدينة. وقدم للبابا الشكر لله على ثبيبة ندائه وخلاص بيته من الهدى. وبالاختصار فإنه في أيام هذا البابا أثار الشيطان عليه وعلى أولاده الأعداء وكان السيد المسيح يبدد مشورتهم وبهلكهم ببركة صلواته.

١٥. آخر أيام البابا متأوس

وقام هذا البابا برعاية شعبه رعاية حسنة مقرونة بالصلاح والتقوى والوداعة والرأفة. ولما قربت أيامه ماضى إلى مقبرة الآباء البطاركة بمصر ووقف أمامها يقول: "أنفتحي وأقبلني كى أسكن عند أخوتى" ولما ماضى وعاد إلى قلابته اعتراه مرض الموت فارسل إلى الأساقفة كى يحضرهم ويوصيهم على رعية المسيح كما أحضر رئيسة الراهبات بحارة الروم من ذيرها وأعطتها كامل ما عنده وأوصاها قائلاً: "تحفظى على هذه الوديعة واعطيها للذى يأتي بعدي لأنها وقف على القيامة" وكان سنه وقتئذ خمسة وسبعين سنة (كتاب ٢٨٩ طقس وكتاب ٣٤٣ طقس وجه ١٦٠ بدير أنطونيوس).

١٦. نياحة البابا متأوس الرابع

وأقام البابا متأوس الرابع على الكرسى الرسولى مدة أربعة عشر عاماً وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً وتنحى بسلام في يوم ١٦ مسرى سنة ١٣٩١ ش الموافق ١٥ أغسطس سنة ١٦٧٥ م.

وكانت نياحته بالقلالية البطريركية القديمة بظاهر كنيسة الشهيد مرقوريوس أبي سيفين بمصر واجتمع سائر الكهنة والشعب في يوم جنازته بعد أن استأذنوا من والى مصر بدفعه. فاطلق سبليم بعد أن أخذ منهم أموالاً كثيرة وقد ناح على قدائه جميع الشعب المسيحي ودفنوه في المغارة المخصصة للبطاركة تحت الهيكل في الكنيسة المنكورة.

١٧. اللغة القبطية في الجبل السادس عشر والسابع عشر للميلاد

قال المغرizi في كتاب خطبه أن رهبان مصر لبؤوا يتكلمون باللغة القبطية لغاية القرن الخامس عشر وأن بعض النساء والأطفال في الصعيد ورهبان الأديرة الكائنة حول أسيوط وأهل درنكة وأخميم والبلاد المجاورة في الجهة الشرقية كانوا يتكلمون جميعاً بها في تلك العصر (جزء رابع ص ٤١٦ و ٤١٧).

وقد ذكر الآب فانسليب في كتاب سياحته في مصر في سنة ١٦٧٢ م أنه وجد بين الأقباط من يتكلّم بلغته الأصلية عند زيارته لأسيوط فقد قابل فيها المطران القبطي أباً يوانس وقال عنه إنه رجل شريف للغاية نعى فاضل وأنه عرفه بلحد أصدقائه المدعو المعلم أنطاكيوس وهو الشخص الوحيد في مصر العليا يتكلّم لغة البلاد الأصلية أي اللغة القبطية (ص ٣٦٣).

البابا يوانس السادس عشر

البطريوك (١٠٣)

الشهير بالطوطخى

أ، موطنه ونشأته ورثته

كان هذا الأب من أهالي ناحية طوخ النصارى بكرسي المنوفية بالوجه البحري وكان اسمه إبراهيم وكان أبواه من المسيحيين الأتقياء. فرباً هذا القديس بكل معرفة وأدب وكانت نعمة الرب حالة عليه منذ صغره.

ولما تزوج والده وبلغ حد القامة اشتغل بأعمال الصرافة وتحصيل المال إلا أنه رأى أن الأعمال التي يباشرها لا تتفق مع أخلاقه وتربيته الدينية لما فيها من المخالفات وسوء التصرفات. ففكّر في السعي نحو خلاص نفسه وهجر العالم المملوء بؤساً وشقاً والملوث بالخطايا والآثام. فسلط عليه فكر الـهروب منه والالتجاء إلى البرية فقد انتهت العناية الربانية إلى دير أبينا القديس أنطونيوس العظيم ببرية العربة وترهب فيه.

وبعد أن تزود إبراهيم بعلوم الكنيسة ودرس الكتب المقدسة ومارس كل أنواع الفضيلة ولبث على هذا الحال زمناً غير قصير منكباً على الدرس والتحصيل لبس الشكل الملائكي الذي هو الاسكيم المقدس.

ولما رأى شيخ الرهبان في الدير فضل الراهب إبراهيم ونسكه وتقشفه زكره لدرجة القسيسية فقام بتكريسه البابا متاؤس الرابع الشهير بالميري البطريوك (١٠٤) بكتسيسة السيدة العذراء بحارة زويله قساً على الدير المنكور فشاع ذكر فضله وورعه وتقواه وتواضعه.

واستمر القس إبراهيم يرعى شئون ديره إلى أن انتقل البابا متاؤس الرابع في ١٦ مصري سنة ١٣٩١ش الموافق ١٥ أغسطس سنة ١٦٧٥ م (تاريخ البطاركة

رقم ١٥ تاريخ بالدار البطريركية ص ٢٩٨ و ٢٩٩ و سنکسار دير أنطونيوس رقم ٣٤٣).

٢. اختيارة للبطريركية

بقي الكرسي للرسولى خاليا بعد انتقال البابا متاؤس الرابع إلى الأحضان الريانية مدة سبعة شهور واجتمع الآباء الأساقفة والكهنة والأراخنة في أثنائها للبحث عن يختاره الله سبحانه وتعالى لرئاسة الكرسي المرقسى الإسكندرى ليقدموه بطريركا عليهم.

وقد الرأى في مجمع الآباء على إيفاد بعض كبار الأراخنة إلى دير القديس العظيم أنطونيوس للبحث والاستقصاء فلهم شيخ الرهبان على القس إبراهيم البادى الذكر وذكره لهذا المركز السامى الخطير فاختاروه واختاروا معه بعض الكهنة والرهبان وقرروا أن يعمل بينهم قرعة هيكلية. فأقاموا القدس مدة ثلاثة أيام متالية وهم يتضرعون إلى الله تعالى أن يقيم لهم راعياً صالحًا فكانت القرعة تطلع باسم الأب إبراهيم فتأكد الأراخنة والرؤساء أن هذا القس هو المختار من رب يسوع لهذه الرتبة السامية. فأخذوه من الدير ونزلوا به إلى مصر فى أول برمهاط سنة ١٣٩٢ش وقدموه إلى المجمع المقدس فبارك المجمع اختياره وقام بتكريسه بطريركا في صبيحة يوم الأحد المبارك تاسع برمهاط باسم البابا يوانس السادس عشر في الاسم الثالث بعد المائة في عدد بطاركة الكرازة المرقسية. وكان والي مصر وقت الرسامة حسن باشا الجنبلاط في عهد سلطنة محمد إبراهيم خان. وقد شمل الجميع برسامته فرحا عظيما في جميع البلدان المصرية (سنکسار دير أنطونيوس رقم ٣٤٣ وكتاب رقم ١٥ تاريخ ص ٢٩٩ ونيل فوه ص ١٨٩^١) والتوفيقات الإلهامية ص ٥٤٤)

وقد قال بعضهم أن رسامة هذا البابا قد تمت في يوم ١٢ برمهاط ولكن هذا الادعاء لا أساس له من الصحة لأنه جاء في كتاب الرسائل والكتابات ليكون والإبركيسين رقم ٩٤ مقدسة بمكتبة المتحف القبطي أن البابا يوانس البطريرك ١٠٣ كرس في يوم الأحد ٩ برموده سنة ١٣٩٢ش (فهرس المخطوطات بالمتحف القبطي جزء أول ص ٥ رقم ٤ مسلسل).

٣. زيارات البابا للأقاليم القبلية والبحرية

ولما استقر البابا يوانس في القلاية البطريركية بحارة الروم قام بتأدبة صلاة القدس في كنائس مصر على جاري العادة وبعد ذلك توجه إلى الصعيد في السنة الثانية من بطريقته حتى وصل إلى مدينة أسنا وتبارك من أجساد الشهداء المحفوظة بهذه المدينة ثم رجع بعد ذلك بسلام إلى مصر المحروسة.

ثم بعد الاستمتاع بالراحة من سفرية الصعيد استعد البابا لزيارة الأقاليم البحرية فقام بها ثم مضى إلى الإسكندرية وزار بيعة القديس مرقس الإنجيلي بالثغر الاسكندري وعاد بعد أن تفقد أحوال جميع شعبه وزودهم بالبركات والنصائح وعاد إلى مقر كرسيه بحارة الروم بالقاهرة (ذيل فوه ص ١٨٩ وكتاب ١٥ تاريخ ص ٢٩٩ وسنكسار دير أنطونيوس ص ٩١).

٤. اشتداد الغلاء في البلاد

وفي سنته الثالثة من ارتقائه الكرسي البطريركي حول سنة ١٣٩٤ اش الموافقة ١٦٧٧-١٦٧٨ اشتد الغلاء في البلاد وضج الناس من ارتفاع الأسعار وعدم المقدرة عليها (كتاب الرسائل رقم ٩٤ مقدمة بالمتاحف القبطي).

٥. اضطهاد النصارى واليهود بشتى الوسائل

وفضلاً عما أصاب البلاد من الغلاء الشديد الوطأة في سنة ١٣٩٤ اش قد نودى في السنة المنكورة أيضاً أن يعلق النصارى في رقبتهم جلجلان وفي رقبة اليهودي جلجل عند لوجهم الحمامات وأن يصبغ كل من اليهود والنصارى عمامتهم. وألا يلبسو أثواباً من الجوخ أو الصوف كما أنه نودى ألا يعشى أحد من المسلمين حافي الأقدام ولا يدخل جاماً إلا بقباق وكل من سمع الآذان منهم ولا يدخل الجامع يعاقب.

ونودى أيضاً ألا تلبس النساء براقع ولا تأثر نساء النصارى بمائزز بيضاء وتكون ملابس النصارى عموماً سوداء (كتاب الرسائل والقاثوليكون الابركسيس بالمتاحف القبطي رقم ٩٤).

٦. نظار الكنائس في القاهرة

وكان في أيام هذا البابا القديس معلمون أراخنة مسيحيون كاملون في فعل الخير أمثال السادة يوحنا أبو مصرى وجرجس أبو منصور الطوخى وعمه داود الطوخى وإبراهيم أبو عوض وسليمان الصراف الشناوى ومكرم الله أبو فليفل

ولطف الله أبو يوسف وغبريال أبو سليمان الابيارى وسعد الغمراوى وغيرهم من حضرات المعلمين الأفاضل والأراخنة العظام (كتاب ٣٩١ طقس بيير أنطونيوس وكتاب ١٥ تاريخ ص ٢٩٩ بالدار البطريريكية).

و قبل ارتفاع هذا البابا الكرسى البطريركى كان نظار الكنائس بمصر من أرباب الصنائع والحرف. ولما تولى سيادته انتقلت جميع نظارات الكنائس إلى كبار المعلمين الأراخنة فكان المعلم يوحنا أبو مصرى كبير المباشرين فى ذاك العصر ورأس الأراخنة ناظراً على كنيسة السيدة العذراء الأنثربية بحارة زويلة. ومن آثاره الخالدة الذكر في هذه البيعة المقدسة اهتمامه بصيانة مبانيها إذ كملها وزخرفت منبرها الإنجيلي وجملها وحصن أسوارها بالتمكين وزانها بكل آلة حسنة وجددها بالتكلريز في سنة ٤٣١ش. ثم وجه بعد ذلك اهتمامه إلى استكمال مكتبتها فابتداً بنسخة الكتب البيعية وأقام عليها أمينا لخزانتها التي كانت مزخرة بالكتب الثمينة البيعية وغيرها الشهاد المعلم نسيم بطرس (قطمارس شهر طوبه مكتبة هذه الكنيسة رقم ١٣-٥٥ طقس).

و استند نظارة كنيسة السيدة العذراء الشهيرة بالمعلقة في قصر الشمع بمصر القديمة إلى الشيخ المكين المولى الرئيس المعلم جرجس أبو منصور الطوخى رئيس الكتاب (سنکسار رقم ٤٥-أ المحفوظ بالمتاحف القبطي).

و قد اهتم هذا الناظر مع قداسة البابا بتعمير هذه البيعة الأنثربية العظيمة وتقويتها واعادتها إلى رونقها الأنثربى الأصلى واستكمال مكتبتها الأمر الذى فاق حدود البشر في عمله واعتبرته الكنيسة القبطية اعجوبة عظيمة مدهشة تعم على يدى هذا البابا القديس (كتاب رقم ١٢٨ طقس بالمتاحف القبطي).

و قد تولى أيضاً المعلم جرجس الطوخى المذكور نظارة كنيسة السيدة العذراء المغنية بحارة الروم وقام بتعمير الكنيسة الفوقانية بحارة الروم المكرسة على اسم الشهيد العظيم مار جرجس (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣٠٠ بمكتبة الدار البطريريكية).

و قد استند نظارة باقى الكنائس بالقاهرة ومصر القديمة وضواحيها إلى باقى كبار المعلمين وعظماء الأراخنة فاهتموا بها وجددوا ما احتاجت منها إلى الترميم والتعمير ونسخة الكتب البيعية الالزمة لهذه الكنائس وبالاختصار فقد تغيروا جميعاً في جميع الأعمال الصالحة وتسابقوا في القيام بما يلزم المساكين وفي

توزيع الكساوى على الفقراء فى الأعياد والمواسم حتى أصبحت أيامهم مقرونة بالبىر وعمل الخير حتى صارت معتلة رخاء وسخاء وربحاً (كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٩٩).

٧. تعمير القلية البطريركية بحارة الروم

إن البابا يوانس الثالث عشر هو أول من بنى القلية البطريركية بحارة الروم وأوقفها على القيامة العظيمة (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣٢٩٩). ورتب هذا البابا للقلية مرتبتين وأوقف عليها أوقافاً للقيم بما تحتاج إليه (سنكسار دير أنطونيوس رقم ٣٤٣ طقس).

قد كان نقل مركز البطريركية من كنيسة السيدة العذراء بحارة زويله إلى حارة الروم في سنة ١٣٧٦ اش الموافقة لسنة ١٦٦٠ م بمعرفة سلفه البابا متاؤس الرابع الشهير بالمعيرى (ليل المتحف القبطي جزء ثان ص ٣٧).

ولما كان الابن المبارك الشمامس المكرم المعلم لطف الله أبو يوسف متوجهاً إلى الأستانة العلية صحبة أستاذه المتدرج بخدمته لأجل الفسحة في سن ١٤٣٥ م قام البابا يوانس والراخنة المكرمين بارسال هدايا وتحف بدبيعة إلى السلطان فى الأستانة صحبة المعلم لطف الله المذكور لرفع بيت المال عن حارة الروم فكان ذلك وتكللت مساعدتهم بالنجاح (كتاب ١٢٨ طقس بالمتحف القبطي بمصر ونيل كتاب التواريخ لابن الراهب فصل ٥٠ ص ٢٤٦).

٨. تعمير محلات القدس الشريف

واهتم أيضاً البابا يوانس السادس عشر بعمارة المحلات الموجودة بالقدس الشريف وقام بسداد ما كان عليها من الديون الكثيرة باجتهاده وحسن غيرته على مصر الحبيعة في هذه الأرض المقدسة والمحافظة على أملاك الكنيسة القبطية فيها (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣٢٩٩).

٩. شرافق النيل وسنو الغلاء والفناء

لقد استمر الرخاء في البلاد إلى سنة ١١٠٦ هجرية الموافقة لسنة ١٤١١ اش ١٦٩٤-١٦٩٥ م حيث وقف في هذه السنة فيضان النيل ولم يحصل في سنتهما الاحتفال بجبر البحر ولم تزو البلاد حيث شرفت كلها قبلياً وبحرياً ولم يبلغ النيل وفتند سوى ستة عشر ذرعاً.

وكان والى مصر يومئذ يسمى على باشا قلچ وكان بها أيضاً في الوقت ذاته أمير يدعى كوجك محمد باشا أوضه باشا مستحفظان قام بالاعلان عن أن لا يزيد سعر الارب المצרי من القمح عن ستين نصف فضة قلم يليث هذا السعر طويلاً فإنه بعد أن قتل كوجك محمد المذكور وصل سعر القمح في اليوم الثاني لوفاته مائة وعشرين نصف فضة الارب المצרי وأخذ يتدرج السعر في الارتفاع إلى أن وصل إلى ثلاثة وستين نصف فضة.

أما بلاد الصعيد فقد نزح فرازوها إلى مصر واقتدى بهم أيضاً فقراء الوجه البحري فحضروا جميعاً إلى مصر المحروسة. ووصل القمح إلى ثمانين نصف فضة الوبية وبلغت أجرة طحينها خمسة عشر نصف فضة فتكون الجملة ديناراً وقد كانت قيمة الدينار وقتذاك خمسة وتسعين نصف فضة ولم يكن قد ظهر في هذا الوقت الدينار أبو طيره ولا الزنجير ولا الفندقى إلا الذهب الحمدى.

فعم الغلاء بالبلاد واشتدت وطأته حتى اضطر الفقراء إلى أكل الميّة من الحمير والخيول والقطط وغير ذلك واستعاد الناس بالله في تلك الأيام العصبية فكان فيها الناس مطروحين في الشوارع والازقة والكيمان من شدة الجوع والوباء لأن الله عز وجل قد أنزل بالمصريين ضربات الغلاء والوباء فقد كان الإنسان يجوز عليهم في العشية فيجدونهم مسطوحين بجانب الحيطان وعند مروره عليهم في الصباح يجدهم أمواتاً (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣٠٠ والتوفيقات الالهامية ص ٥٥٣). واستمر الحال على هذا المنوال والناس تموت أفواجاً من شدة الجوع والضعف حتى وصل ارب القمح في سنة ١٤١١ ش الموافقة لسنة ١٦٩٥-١٦٩٦ م ستمائة نصف فضة وارب الفول ١٥ قرشاً والشعير عشرة قروش وقل وجود العدس وعم الغلاء واشتد الكرب ووقع الفناء في البلاد واستمر الناس على أكل لحم الكلاب والقطط والخيول والحمير. وفي تلك الأيام العصبية عزل الباب العالي على باشا والى مصر وعين بدله اسماعيل باشا (التوفيقات الالهامية ص ٥٤٤).

وفي سنة ١٤١٣ ش اشتلت وطأة الغلاء على عباد الله حتى بيع ارب القمح بستمائة نصف فضة والشعير بثلاثمائة نصف وال foul باربعمائة وخمسين نصف والارز بثمانمائة نصف وأكل الناس الجيف ومات الكثيرون من شدة الجوع. وقد زاد البلاء بالعبد عقب ذلك شدة الفناء وانتشار الوباء فأمر الوالي بتکفین الفقراء

والغرباء من بيت المال. وصاروا يحملون الموتى في الطرقات ويذهبون بهم إلى مغسل السلطان عند سبيل المؤمنين إلى إنتهاء الوباء (ال توفيقات اللاحامية ص ٤٥٥).

فلا رأى اسماعيل باشا الوالى كثرة موت الفقراء من الجوع وأكل الميته أخذ
يفرق على الأمراء الصناجق الاغوات الفقراء كل منهم على قدر طاقته فصاروا
يطعمونهم إلى أن فرج الله على خليقه وشملها برحمته فجاء النيل عاليا وزرعت
الناس وأطمأننت النفوس.

وفي أثناء سُنِّي الغلاء هذه لم يتخل البابا يوأنس السادس عشر عن الرحمة بالفقراء والمحاججين وهذا حنوه المعلمون الأرلاخنة بمصر فكانوا يتغایرون في عمل الصالحات والرحمة بالمساكين وعلى الأخص الأرلاخن الكبير داود الطوخى وولد أخيه المعلم جرجس أبو منصور حيث كانا يسكنان بدرب الجنيزة بحارة الأرمن (كتاب ١ تاريخ ص ٣٠٠).

وعزل الباب العالى اسماعيل باشا والى مصر فى سنة ١٤١٤ وولى مكانه
حسين باشا الذى لم تطل ولايته حيث عزل أيضاً فى ٧ أكتوبر سن ١٤١٥ وتنولى
بنده لأحمد فرج محمد باشا.

وكان للمعلم جرجس أبو منصور الطوخى ولد وحيد اسمه منصور نتيح فى تلك الأيام فاضطر والده إلى نقل بيته إلى حارة الروم بجوار الكنيسة فى منزل قام بتعميره وسكن فيه (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣٠٠).^(٣)

١٠. وقوع الاضطهاد على الديعة المقدسة

أثر عدو الخير في يوم الاثنين المبارك ٦ أبيب سنة ١٤١٧ اش اضطهاداً على الشعب المسيحي الارثوذكسي بمصر المحروسة في زمن ولادة أحمد فرة محمد باشا فقد استغوى الشيطان عدو المسيحيين، من الناس من سعى عند الوالي الجديد وانهى إليه أن طائفة النصارى القبط أحدثت بنياناً جديداً في كنائسها. فعين الوالي من جانبه أغا وأشرك معه بعض المعماريين وقضاة الشرع وكلفهم بالكشف على أبنية بيع المسيحيين. فنزلوا وكتشفوا وأثبتوا أن الكنائس تحوى البناء المحدث الجديد. ولكن الله الرؤوف بعباده المخلصين والمتحنن على بيته المقدس لم يتخلى عن شعبه ببركة صلوات البابا يوحنا الطاهر فحنن قلوب أمراء مصر وأكابر الدولة على امته المسيحية فتشفعوا لدى الوالي ففرض عليهم غرامة مبلغ له صورة

من الدر اهم فاجتمع السيد البابا يوانس بالسادة المخاديم المعلم يوحنا أبو مصرى وجرجس أبو منصور والمعلم إبراهيم أبو عوض فى القلاية البطريركية بحارة الروم واتفقت كلمتهم على أن يطوف قداسة البابا المكرم بحارات النصارى ويدخل البيوت ويجمع منهم ما تيسر إلى أن يتم الحصول على الغرامة المفروضة بأكملها. فرحم الله تعالى شعبه وبيعته من هذه المحن وجمع المطلوب ودفعه السادة المخاديم وحصل الفرج على البيع المقدسة وفتحت للعبادة وانتشر الهواء والطمأنينة في قلوب الشعب المسيحي وأزال الرب الاله الرحوم هذه التجارب والإنتهاكات عن شعبه وحصل لهم الفرح والسرور ومجدوا الرب القدس على حسن صنيعه الصالح وعظيم رأته واحسانه ورفف الهواء والسلام على كل أ البيع وعلى الشعب القبطى (كتاب ٣٩١ طقى بمكتبة دير أنطونيوس وكتاب ١٥ تاريخ ص ٣٠٠ و ٣٠١).

١١. عزل الوالى أحمد قرة محمد باشا

ولكن الله الرؤوف المحنون على شعبه انتقم من الوالى أحمد قرة محمد باشا الذى أكحل الأقباط بالغرامات فعزله الباب العالى من ولاية مصر فى سنة ٤٢٠ اش الموافقة سنة ١٧٠٤ م وولي بدله محمد رami باشا (التوقيفات الالهامية ص ٥٥٨).

١٢. صنع الميرون المقدس

ومن بركات القديس البابا يوانس السادس عشر أنه اشتاق إلى عمل الميرون المقدس والغيلانون فحقق الله له أمنيته هذه وبلغه مطلوبه فى كمال ستة وعشرين سنة من جلوسه.

فقد حول الروح القدس الأرخن المسيحى الفاضل المعلوه من خوف الله ومحب بيعته المقدسة المكرم الرئيس جرجس أبو منصور الطوخى الذى كان عطوفا على الفقراء والمساكين ومحباً لامكناة الشهداء القديسين كما تقدم بيانه والذى كان على وفاق تام مع البابا على تأدية كل عمل صالح. فاجتهد هذا الاخن العظيم مع البابا القديس فى إحضار ما يحتاج إليه عمل الميرون من المؤن على نفقة المكرم جرجس الطوخى وذلك فى سنة ١٤١٩ اش. ولما أتم تحضير كل شيء أرسل للأباء الأساقفة يستدعيم للاشتراك مع قداسة البابا فى هذا العمل المبارك.

فاجتمع المجمع المقدس في حارة الروم برئاسة البابا يوأنس وحضور
حضرات الآباء:

- (١) الأنبا غبريا مقدم الأساقفة وأسقف القدس الشريف.
- (٢) الأنبا يوأنس أسقف كرسى أسيوط ومنفلوط.
- (٣) الأنبا ميخائيل الميرى أسقف قسقام وابن أخي البابا متاؤس.
- (٤) الأنبا أنطاسيوس أسقف كرسى البهنسا والأشمونيين.
- (٥) الأنبا يوأنس أسقف نقاده.
- (٦) الأنبا أنطاسيوس أسقف كرسى الفيوم.

وقاموا جميعهم بمعاونة قداسة البابا وعملوا المiron المقدس وكرزوه في
بيعة السيدة العذراء المغبطة بحارة الروم واشترك معهم الرهبان والشيوخ العديدين.
وكان قد مر على عمل آخر ميرون مدة ٢٤٢ سنة أى من أيام رئاسة البابا
متاؤس الثاني البطريرك (٩٠) في سنة ١٧٧١ ش إلى زمن هذا البابا الذي تم على
يديه هذا العمل المبارك (كتاب رقم ١٠١ طقس ص ١٣٢، ١٤ وكتاب ١٠٢
طقس ص ٣٤، ٣٥٧، ٥٨ وكتاب ١٠٣ طقس ص ٣٤ و١٦٥، ١٦٦ بمكتبة
الدار البطريركية).

وبعد الانتهاء من عمل المiron المقدس قدم المعلم جرجس لكل أسقف من
الأساقفة المشتركين في هذا العمل المقدس بدلة كهنوتية كاملة وعدة كاملة لقريان
وعاد جميعهم إلى كراسيمهم مجبارى الخاطر مسرورين وفرحين (كتاب ١٥ تاريخ
ص ٣٠٠ وسنكسار دير أنطونيوس رقم ٣٤٣ طقس ص ٩١).

١٢. زيارة البابا لدير الأنبا أنطونيوس

وقد زار البابا يوأنس السادس عشر الدير الذي ترہن فيه وهو دير القديس
العظيم الأنبا أنطونيوس المعروف بالعربية بجبل القلزم ثلاث مرات.

(الدفعة الأولى): حصلت الزيارة في هذه الدفعة في سنة ١٣٩٥ ش فوصل
الدير في يوم الجمعة المبارك ٢٤ كيهك وكان بصحبته القصر مرقس رئيس
الدير وبعض الكهنة والتلاميذ الرهبان — ومكثوا بالدير مدة ٢٤ يوماً وعادوا بعد
عيد الغطاس بخمسة أيام وكان نزولهم بسرعة بسبب ثورة العرب حول الدير.

(الدفعة الثانية): وحصلت في سنة ١٤١٤ ش فوصل البابا المعظم إلى الدير
في يوم الجمعة المبارك ٢٠ برمودة وكان خاتم الصوم الكبير وكان في صحبته

القس يوحنا البطل خاتم بيعة السيدة بحارة الروم والارخن المعلم جرجس أبو منصور الطوخى وتلاميذ البابا وأمنوت حارة الروم والمعلم سليمان الصراف الشناوى. وأقاموا هناك لغاية أسبوع العيد العظيم ورجعوا إلى مصر بسلام من الرب.

(الدفعة الثالثة): وقد تمت هذه الزيارة في سنة ٤١٧ اش عقب قيام البابا بجمع قيمة الغرامه المالية التي فرضت وحصل ضيق صدر للبابا من شدة التعب الذي ناله من كثرة الطوفان في الأرقة والحارات والعطف ودخول البيوت العيدة لجمع هذه الغرامه كما تقدم بيانه فاشتاقت نفسه سعياً وراء الراحة وإكتساب الصحة إلى زيارة الدير الأنطوانى. فبارح قداسته القلالية العamerة في يوم الخميس ٧ مسري سنة ٤١٧ اش ووصل إلى الدير بسلامة الله وطالت إقامته هناك.

فلما شعر الشعب بطول غياب البابا قلقت النقوس بمصر المحروسة عليه واجتمع السادة المخلصين وانتفقت كلمتهم على قيام وفد منهم للتوجه إلى الدير لحضور قداسته وانتدبوا للقيام بهذه المهمة المعلم مكرم الله أبو فليق والمعلم لطف الله أبو يوسف والمعلم غبريل أبو سليمان فبارحوا مصر في يوم ١٥ هاتور سنة ٤١٨ اش ووصلوا إلى الدير بسلام في ٢٥ منه وهو يوم عيد القديس العظيم والبطل المقدام مرقوريوس أبو سيفين. فحضرروا القدس وتباركوا من البيعة ثم سلموا على قداسة البابا وقدموا إليه مكاتب المعلمين وسألوه في العودة إلى مصر. فأجابهم قداسته إلى ما طلبوا وحضر بصحبته حيث وصلوا جميعاً بحراسة الله سالمين إلى مصر المحروسة في يوم السبت ٣ كيهك سنة ٤١٨ اش وهو يوم عيد السيدة العذراء مريم والدة الإله وكان فرح عظيم عند الكهنة والأراخنة وكافة الشعب حيث احتفلوا بمقدمه احتفالاً كبيراً (كتاب ٢٣٦ طقس بدير أنطونيوس).

١٤. تعمير دير القديس الأنبا بولا أبو السواح

وقد ظل دير الأنبا بولا الاسكندرى خراباً مدة مائة وتسع عشرة سنة خالياً من مجمع الرهبان وتساقطت بعض أسواره وكان من عادة الآباء الكهنة بدير القديس أنطونيوس أن يتوجهوا في كل عام ومعهم المذبح وأوانى الخدمة فيقدسون في الكنيسة التي في الجوسق ويعودون وظلوا على هذه الحال مدة خراب الدير الطويلة.

وفي السنة التاسعة عشر بعد المائة من تاريخ خراب الدير تحنن الإله الصالح ومشمل محل القديسين بعطفه وعنائه فاولى إلى البابا يوأنس السادس عشر بأن يقوم بعمارة هذا الدير وفتحه بعد غلقه وتركه خراباً. وفعلاً عندما زار البابا دير أنطونيوس في سنة ٤١٧ ش اش تكلم مع الأب المكرم مرقس رئيس هذا الدير في شأن تعمير دير القديس بولا الاسكندرى أول السواح.

وفي سنة ٤١٨ ش توجه الأب مرقس المذكور إلى القلية العامرة بمصر وانتفق مع قداسة البابا على الشروع حالاً في تعمير الدير وأرسل له جابياً من الأخشاب برسم العمارة فاحضروها إلى دير أنطونيوس ثم قام الرئيس بصحبة بناعين وقطع حجر واثنين من الفضة واستضجعوا معه من دير أنطونيوس القمص تادرس والقى شنوده وجماعة من الرهبان الأشداء وتوجهوا جميعاً إلى دير القديس بولا وشرعوا في عمارة الدير فبتو ما قد تهم من الأسوار والجوسق وأخطروا البابا بذلك فاهمت بأحتجبة الكنيسة وأرسلها مع طاحون وأدوات أخرى للرهبان بصيحة النجارين.

فلما تم تركيب الأحجبة والآبواب وباقى الأشياء الازمة جهز لهم سيادة البابا أواني المذبح وأدوات الكنيسة من كؤوس وصوانى وصلبان وستور ومفارش وأبسطة وشموع وبخور وقناديل ونقوس وكساوى ومفروشات وآلية التكريز وأحضرها بصحبته حيث غادر مصر المحروسة في يوم الاثنين ١٨ برمودة سنة ٤٢١ ش وفي صحبته القمص سمعان خادم بيعة السيدة بحارة الروم والقمص عبد المسيح كاتب القلية والارحن الكبير جرجس أبو منصور الطوخى والمعلم مكرم الله فليفل والمعلم غبريل سليمان الابيارى والمعلم سعد الغمراوى فوصلوا دير القديس أنطونيوس في يوم الخميس ٨ بشنس وأقاموا فيه ستة أيام وفي ١٤ بشنس بارحوا الدير مع الكهنة والرهبان وتوجهوا إلى دير القديس أنبأ بولا فوصلوا إليه عند غروب شمس يوم الخميس ١٦ بشنس. وفي صيحة الجمعة قام البابا بنفسه بفرش الكنيسة وتركيب الستور والقناديل.

ووصل إلى الدير في يوم السبت من المحروسة المعلم المبارك لطف الله أبو يوسف والمعلم اسطفانوس الروبي وفي مساء السبت ابتدأ قداسة البابا بالصلاه لتكريز الكنيسة والمذبح والهياكل والأواني والصور وتم التكريز في الساعة الثالثة من يوم الأحد وتناولوا جميعاً من الأسرار المقدسة وتباركوا من مقبرة القديس

بولس وكرزوا كنيسة أثبا مرقى. ثم أقاموا قداس في صيحة الاثنين وبعد الانتهاء منه زاروا محلات المقدسة.

ثم قام البابا يوأنس بتعيين القس المكرم بشارة رئيساً للدير وأقام معه أربعة رهبان من دير أنطونيوس وودعوا الإخوة وبارحوا الدير في ذلك اليوم ولما وصلوا إلى دير القديس أنطونيوس استراحوا هناك مدة يومين حيث غادروه في يوم الخميس ٢٢ بشتاء بعد قداس لأنه كان عيد الصعود ومن ذلك الحين عادت الحياة إلى دير الأنبا بولا الاسكندرى وظل عامراً مزدهراً إلى يومنا هذا؟

وقد أحسن البابا صنيعه بأن فصل بين وقف هذا الدير ووقف دير أنطونيوس لضمان راحة الرهبان وعمار الدير (كتاب ٢٣٦ طقس بمكتبة الدير وكتاب رقم ١٥ تاريخ بالمكتبة البطريركية ص ٣٠٢).

١٥. عدم وفاة النيل واعجوبة فيضانه

وفي سنة ٤٢٢ اش حصل لطف من الله لشدة ألت على العالم من إعاقته فيضان نيل مصر وحصل بسبب ذلك غلاء عظيم في كل أرض مصر حتى ضجرت الناس من شدة الجوع والغلاء وكثير ضجيج الناس من عدم وجود قوت لهم.

وقد بلغ سعر أربيب القمح ٤٠ نصفاً فضة والفول كذلك والعس ٢٠٠ نصف فضة والشعير بمائة نصف فضة والأرز أربعين نصف ورطل اللحم الضأن ثلاثة أنصاف فضة والجاموس نصفين فضة وقططار المسلى ستمائة نصف فضة وقططار الزيت ثلاثة نصف فضة (التوقيفات الالهامية ص ٥٥٩).

ونظرت الناس في النيل أموراً غريبة تحيرت الأفكار منها لأن زيادته نقصت عن الوفاء بمقدار ثلث ذراع ثم لم يزيد في النهار مراراً عديدة وينخفض منسوبه ويقف. ولذلك لم يتأخر أحد من سائر الأهل بي عن الخروج إلى البحر ليرى هذا الحادث الهائل.

وكلما نظر الناس تغيرات فيضان النيل اشتد كربهم وضجيجهم وكثير البكاء والنوح لعدم وجود القويت وطالت الشدة على الناس لعدم وفاة النيل.

ولما رأى هذا الدافت المريع الشمامس المكرم والأرخن المبجل المعلم يوحنا أبو مصرى كبير المبشارين التجأ إلى البابا يوأنس الرئيس الأكبر الساهر على خلاص نفوس شعبه أدام الله رئاسته سنينا عديدة وأزمنة سالمه مديدة. وقد اتفق

رأيهم بالإلهام من العناية الربانية والإرادة الإلهية أن يفرضوا على الشعب صوم ثلاثة أيام عن كل ساير الzهومات وملازمة البيع الليل والنهار مستغثين بالله الرحوم الذي لا يخيب دعاء المسلمين إليه ولا يرد للإجتنب إلى معونته وكان البدء في ذلك للصوم يوم الاثنين ٢٧ مصري سنة ٤٢١ اش وتمامه يوم الأربعاء ٢٩ منه. فقبل رب الإله المحنن رب الشفقة والرأفة تضرعات شعبه وبكاءهم ونواحهم ورحم الملجئين إلى عطفه وحنانه.

وقام السادة العلماء بفرض الصوم على كافة المسلمين وأمرتهم بالصعود إلى الجبل الشرقي المعروف بالجبيوشى. وأيضاً اليهود فرضوا على نفوسهم وأطفالهم الصوم مدة ثلاثة أيام. وكذا كامل ساير الطوائف والملل فرضوا على نفوسهم مثل ذلك.

وكان صحيح في كل أرض مصر لم يسمع مثله قط ولكن الله الرحوم الذي لا يشاء هلاك أحد قبل التضرعات المرفوعة إلى عظمته من رعيته فمن من شدة رأفته بعباده بوفاء النيل وكان ذلك في ليلة اليوم الثاني عشر من شهر توت تذكر الملك الجليل ميخائيل رئيس الملائكة وكان مقدار النيل ستة عشر ذراعاً وثلاثة ومكث على هذا الحال قليلاً ثم انخفض ثانياً. لكن الله سبحانه وتعالى الرحوم المحنن رأف بشعبيه وجاد على خليقه برحمته فارسل إليهم معونته وسلم لهم بمراحمه الغزيرة ورأفته العظيمة فثبتت الغيم وكثرت السحب العالية ونزلت الأمطار الجارية حتى غطت الجبال العالية فروت البلاد أراضيها من الأمطار والغيث الذي حصل برحمة الله وحنانه وحصلت الطمأنينة في البلاد وكثرت الحنطة والخيرات وسائر الأقواف بأرض مصر. (قطمارس شهر بؤونة المخطوط المحفوظ بمكتبة كنيسة السيدة العذراء الأثرية بحارة زويله المسجل برقم ٢٠-١٥ المؤرخ في ٢١ هاتور سنة ١٤٢٢ للشهادة).

وقد جاء في تاريخ البطاركة أنه في سنة ١١٧ هـ الموافق ٤٢٢ اش شرفت أيضاً أرض مصر وتسمى الشرقاً الصغرى ولما توقف البحر عن الزيادة توجه البابا يوانس البطريرك إلى كنيسة السيدة العذراء بالعدوية ومعه جماعة من الكهنة وصار يقيم في كل يوم قداساً ويصلّى على قليل من الماء في ماجور صغير من الفخار ويرسمه بالميرون المقدس ويطرحه في البحر. فتحنن الله الرحوم برحمته وشفقته على عباده واستجاب الدعاء وقبل الصلاة ووفي النيل في اليوم الثاني

عشر من شهر توت المبارك واطمأنَتُ الخليق وبلغ القمح في سنتها ثمانية قروش
الارب المצרי وسرع الوبية أربعون نصف فضة ولم تحصل شرافق مثل
الشاراقى الكبرى (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣٠١).

٦٦. الحوادث العامة مدة رئاسته

قد توجه البابا يوانس السادس عشر البطريرك في سنة ١٤٢٢ إلى الإسكندرية ونزل في ضيافة القديس مرقس البشير كاروز الديار المصرية وزار ضريحه وقام بتأدية القدس الطاهر في هذه البيعة المقسسة (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣٠١).

وفي تلك السنة عزل الوالي محمد رامي باشا بعد أن تولى ولاية مصر مدة سنتين وتعين بدلته الوالي على مسلم باشا ولكن لم تطل ولايته بعد مضي سنة واحدة تولى بدلته حسنين باشا كتخدا. وقد كان يشغل وظيفةشيخ البلد في القاهرة الأمير قاسم عيواط رئيس طائفة المماليك القاسمية وكان حاكماً عادلاً وأباً حنوناً وبياراً شفوفاً.

وكانت هيئة المماليك في مصر منقسمة إلى حزبين كبيرين يسمى أحدهما باسم المماليك القاسمية والثانية باسم المماليك الفقارية وكان التناقض بينهما مستمراً فلا ينفكان عن مضادة أحدهما للأخر لمحاولتهما على اكتساب النفوذ لأحدهما وإذلال الحزب الآخر. وكان قاسم عيواط بك رئيس الطائفة القاسمية ونحو الفقار بك رئيس الطائفة الفقارية.

ولما تولى حسنين باشا ولاية مصر كانت هاتان الطائفتان على وفاق تام فلما جاء إلى مصر وشاهد هذا الاتحاد خشى بأسهما فعمد إلى نس الدسائس بينهما فوقع الشقاق محل الاتفاق وحصلت بين الطائفتين مواجهة دامت ثمانيين يوماً انتهت بوفاة قاسم عيواط بك. فألف عليه كل الناس حتى بكاه العدو قبل الصديق لأنَّه كان فضلاً عن حكمته في تصرفاته وعلمه في أحکامه ودعته في سجاياه شجاعاً بأسلا أبي النفس. وقد أقاموا بعد وفاته ابنه اسماعيل بك في مشيخة البلد وكان اسماعيل بك رجلاً عاقلاً حكيماً كوالده عارفاً وجه الربح سالكاً طريق الحق فسعى إلى الوفاق مع طائفة الفقارية فاتحدتا واتفقا على محاربة حسنين باشا الوالي فسعى اسماعيل بك سراً لدى الباب العالي في أمر خلعه فنجح وفاز بعزله.

وكان عزل حسين باشا من الولاية في سنة ٤٢٥ اش بعد أن حكم مصر مدة سنتين وتولى بعده الوالي ابراهيم باشا قبودان. وفي مدة ولاية ابراهيم باشا قامت فتنة بين العسكر ضد الوالي فحاصروه وانقطع المرور من طريق المحجر وعرب اليسار والرميلة والصلبية والدروب الموصلة إلى القلعة.

وقد استمرت هذه الحوادث مدة سبعين يوماً خرب بسببها السرب الأحمر وشنق قيصون وسوق السلاح والداودية والصلبية والسيوفية وامتد ذلك إلى مصر العتيقة وخط السيدة زينب.

وفي سنة ٤٢٦ اش عزل ابراهيم باشا القبودان من الولاية التي لم يقض فيها سوى سنة واحدة وتولى بدلـه على مصر خليل باشا (التفيفات الالهامية ص ٥٥٩ إلى ٥٦١).

١٧، زيارة البابا للقدس الشريف

كان طريق القدس الشريف بالير مغلقاً فتعطلت زيارة الشعب القبطي للأراضي المقدسة في كل أنحاء القطر المصري مدة اثنى عشرة سنة بسبب جور العربان وتمردتهم على السلطنة. فانعدم الأمان من طريق الدرب السلطاني وصار العرب يسطون فيه على التجار والمسافرين حتى أغلق الرب وتحولت التجارة إلى طريق البحر.

وقد ظل الحال كذلك طول هذه المدة إلى أن تحزن الله على رعيته ورحم خليقه فحصل بارادته تعالى الصلح بين العربان في البقاع التي يخترقها السرب الوسطاني وعزل البلاشا والى غزه وتولى عوضه محمد باشا الغزاوى وهو من أعيان غزة. فقام محمد باشا بتعيين بشير العرب شيخ مشائخ الفرغة في ولاته فاطاعه جميع العربان وحل الأمان في الطريق وساد الهدوء والاطمئنان فيسائر الأنحاء وعادت الحركة التجارية إلى ما كانت عليه ووردت على مصر البشائر من شيخ العرب بشيرا إلى اسماعيل كتخدا مستحفظان ملتزم هذه المقاطعة كما ورد مكتوب من موسى الكاشف بقطية فحال الكتخدا هذه المكاتب إلى المعلم الرئيس جرجس أبو منصور لأخذ علم بمضمونها والعمل على استئناف زيارة الأرض المقدسة كما كان الحال عليه من قبل.

قرر أى الرئيس أن يفتح باب زيارة القدس الشريف شريف البابا يوانس
بصحبته إلى البلاد المقدسة والتلى من الآثارات السعيدة المقدسة وذلك فى السنة
الثانية والثلاثون من رئاسته.

فبادر الرئيس جرجس بارسال المكاتب إلى سيادة البابا بصحبة الشمس
المكرم المعلم عبد المسيح شتوى الصايغ فى يوم السبت ٢٩ كيهك سن ١٤٢٥ش
يوم عيد الميلاد. فلما اطلع عليها قداسته قدم الشكر لله على هذه المنة العظيمة.
وفى اليوم التالى استدعى الرئيس جرجس الق مصر عبد المسيح كاتب القلية إلى
منزله. ولما تقابلوا أخبره الرئيس المكرم بعزمها على التوجه فى هذه السنة مع
سيادة البابا لزيارة الديار المقدسة بمعونة الله تعالى وطلب إليه أن يقوم البابا
بتوجيهه إعلان إلى جميع الأساقفة بالوجهين القبلى والبحرى يخبرهم فيه بفتح
طريق الأرضى المقدسة وتأمين السفر فيها.

فتلقى سيادة البابا هذه الأخبار المفرحة بالابتهاج والتهليل والتسبيح والشكر لله
تعالى. وأمر بتنفيذها ثم اجتمع بعد ذلك المولى الرئيس المشار إليه بسيادة البابا
ورتبها كل شئ خاص بهذه الزيارة.

ولما وصلت هذه الأخبار السارة إلى مسامع الشعب فرح كثيراً لأنه حرم من
الزيارة المقدسة مدة اثنى عشرة عاماً. وابتدأ جميع زوار الوجه القبلى بالمسير من
بلادهم من أول الصوم المقدس إلى أن كمل حضورهم في الجمعة الثانية من
الصوم. كما تهيأ جميع الزوار بمصر المحروسة وتحرك الركب البطريركي ومعه
أنبا غبرياً أسقف القدس في يوم الاثنين ١٨ برمهاط سنة ١٤٢٥ش وبصحبتهما
الرئيس جرجس وشقيقه المعلم إبراهيم أبو سعد وباقى الأراخنة والكهنة إلى أن
وصلوا الصالحة وهناك التقوا بزوار الوجه البحرى. واكتمل عدد القمامصرة
والقسوس الملتحقين بهذه الرحلة المقدسة ٢٤ شخصاً.

وسار الركب بسلام إلى أن وصل القدس الشريف في يوم الثلاثاء ٣ برموده
وأقاموا بدير السلطان. وقد انقض وقت وصوله حضور الأب البطريرك الطوبىانى
أنبا اخريستيانوس بطريرك القدس الشريف الذى تعين بطريركاً في تلك السنة في
مكان خاله البطريرك السابق. وهو رجل جليل القدر بشوش الوجه رضى الأخلاق
محب ووديع ومتواضع.

وقد احتفى البطريرك خريستوفانوس بالبابا يوانس احتفاء كبيراً وأكرم وفاته وأعد كل شيء لراحته وزاد في العناية بأمره مظهراً كل محبة واهتمام. وكذلك قامت طوائف الأرمن والافرنج بالاحتفال بمقدم البابا لاحتضانه بكل إكرام وتبجيل. فقام الرئيس جرجس بتوزيع النور وتقديم الهدايا الثمينة. وقد اشتراك قداسة البابا يوانس مع غبطة البطريرك المقسى في الاحتفالات الكنسية وعلى الأخص في حفلة النور والقيامة.

وبعد إتمام مراسيم الزيارة والتبرك من الآثار المقدسة بارح الركب البطريركي القدس الشريف في يوم السبت ١٢ بشنس. ولما وصل الركب إلى الصالحية وردت إليه أخبار مزعجة عن ثورة العساكر في مصر على الوالي الجديد إبراهيم باشا القبودان. فانزعج الزوار من هذه الأخبار إلى أن أتتهم البشرى في الخانقاه في يوم ٢٧ بشنس بحصول الصلح بين العساكر والولاية وعودة الطمأنينة إلى الأهالى وفتحت أبواب المدينة. فقدموا الشكر لله تعالى على هذه النعم وغادروا الخانقاه ووصلوا مصر المحروسة في يوم ٢٨ بشنس سنة ٤٢٥ اش (كتاب ١٢٨ طقس تاريخ عمل الميرون وظهور اعجوبتين بمكتبة المتحف القبطي).

١٨، الثورة في ولاية خليل باشا

وفي سنة ٤٢٧ اش الموافقة ١٧١١م القى الوالى خليل باشا فتنة عظيمة بين العساكر وكان فى هذا الوقت أىوب بك الصنجرى ملتجأاً إلى باب العزب وكان لكل منها أنصار وأعوان فلما وقعت الفتنة بينهما واشتدت اقتتال الأسواق وبطل البيع والشراء وأقامت القاهرة سبعين يوماً والأسواق مقفلة والمدافع تترافق بين باب الانكشارية وباب العزب. واحترقت بيوت كثيرة في نواحي الرميلة والصلبية والمظفر ونهبت بيوت الكثرين من الأهالى. وبالاختصار كانت شدة تقليله وضيقه عظيمة على كل الناس وخاصة الفقراء. وكانوا يشربون من مياه البار لانقطاع الطرق واختفاء الساقين لأنهم لم يقدروا على التوجه لنقل المياه من بولاق من كثرة الأعراب. وبعد السبعين يوماً انفرجت الأزمة بهروب أىوب بك وبعض أصحابه إلى الديار الرومية حيث توفى بالقدسية وعزل الباب العالى خليل باشا وتولى مكانه ولى باشا واطمأنت الرعية وحصل الرضا والبيع والشراء والأخذ والعطاء ولم تحصل أذية لأحد من النصارى ببركة صلوات البابا القديس لأن

الرضا والقبول للذين حازها عند الله والموهاب والصلاح التي منحها الله لم يسبقه فيها أحد من البطاركة من بعد بطريركية الرجل القديس العظيم متأوس البطريرك (٨٧) (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣٠١ و ٣٠٢).

١٩. توفيق الله في أعمال البابا

قد كان البابا يوأنس السادس عشر موفقاً من عند الله جل جلاله في كل أعماله ومشروعاته مدة حياته فقد قام هذا البابا القديس بتكريز كنائس عديدة بمصر والريف بعد ترميمها كما رسم عدداً كبيراً من المطارنة والأساقفة والقسوس والشمامسة فضلاً عن قيامه بتعمير دير أثنا بولا بعد خرابه مدة تزيد عن المائة سنة وإحلال الرهبان به كما قام بزيارة دير أنطونيوس ثلاث دفعات كما تقدم وصفه فضلاً عن زيارة رعيته في كل بلاد القطر المصري من أقصى الصعيد إلى البحر الأبيض المتوسط وحفظ الله بيعته وشعبه من كل سوء مدة حياته بفضل تولاته وصلواته.

هذا وقد فاض النيل على يديه ببركة صلواته كما تقدم الذكر إلى غير ذلك من الأعمال الجليلة التي خلدت ذكراه (كتاب ١٥ تاريخ ص ٣٠٢).

٢٠. حوادث أخرى مختلفة

وقد حدثت في يوم عيد القيمة سنة ٤٢٧ ش زلزلة وحل الجراد بالبلاد فرحم الله العباد منه بنزول الامطار وسقوط الاملاح واطلاق الرعد فمات ونجت البلاد من مصراته (كتاب ٢٣٠ لاهوت ص ١١٨ و ١٤٢ بالدار البطريركية).

وقد قامت في سنة ٤٢٩ ثورة الفاسمية وتحزب باشا الوالي لهم ضد الفقارية وصار يعم الدسائس حتى تمكن بحيله من قتل غيطاس بك. ثم عزل ولـى باشا والي مصر في سنة ٤٣١ ش بعد أن حكم مصر مدة أربع سنوات وتولـى مكانه الوالي عابدين باشا (التوفيقات الالهامية ص ٥٦٣ و ٥٦٤).

ولما حضر إلى مصر عابدين باشا قامت الفتنة في البلاد بعد قتل الامير غيطاس بك وقد نجا محمد بك تابعه من القتل بهروبـه إلى الـديار الرومـية. وقد استمر القـتل في مصر ولكن الفتـنة لم تـبطـئ مثل الفتـنة الأولى وزـالـ الشرـ وـاطـمـأـنتـ الرـعـيـةـ (كتـابـ ١٥ـ تـارـيـخـ صـ ٣٠٢ـ التـوفـيقـاتـ الـالـهـامـيـةـ صـ ٥٦٤ـ).

وفي سنة ١٤٣٣ ش عزل عابدين باشا بعد أن حكم مصر مدة سنتين وتولى
بعده على باشا الأزمرلى ولم يلبث في الحكم سوى سنة واحدة وتولى بعده رجب
باشا الوالى (التوفيقات الالهامية ص ٥٦٥).

٢١. ترتيب الذخيرة المقدسة في البيعة

من أعمال البابا يوانس الخالدة التي تدل على عظمته في إدارة البيعة المقدسة
أنه لما تراءى له تعذر المرضى والمطروحين المضى إلى البيعة المقدسة للتناول
من الأسرار الالهية رتب قداسته الذخيرة المقدسة في البيعة التي هي جسد الرب
ونمه وحملها إلى المرضى والمفعدين والمطروحين في منازلهم وصار العمل
 بذلك الترتيب الحكيم إلى يومنا هذا (كتاب ٣٤٣ و ٣٨٩ طقس وسكسار دير
 أنطونيوس ص ٩١).

٢٢. مركز البابا بين سائر الطوائف

وكان البابا يوانس السادس عشر محبوباً عند جميع الناس وكانت جميع
الطوائف تأتي إليه وتزوره ببركته. وكان محترماً مكرماً عند جميع الطوائف على
اختلاف المذاهب والأديان لأنّه كان أباً متواضعاً ومحباً للجميع ورحوماً على
المساكين ورؤوفاً باليتامى وحنوناً على الأرامل وكان بابه مفتوحاً للزوار في كل
وقت وكانت قلاليته ملحاً لكل قاصد. وكانت البيعة المقدسة في سلام مدة رئاسته
وكان شعب المؤمنين في هدوء وطمأنينة وخير وبركة إلى آخر يوم من حياته
الطاهرة المباركة (سنكسار دير أنطونيوس وجه ٩١ كتاب ٣٤٣ و ٣٨٩ وكتاب ١٥
تاریخ ص ٢٠٣٠٢).

٢٣. وصف حال الأقباط

**في الجيل السابع عشر الميلادي وفشل سعي الكاثوليك في مصر والحبشة
بقلم فنصل فرنسا في ذاك الحين**

(١) المقدمة

في أواخر الجيل السابع عشر كان للفرنسيين بمصر قفصل يسمى المسيو
ملييه حضر إليها في سنة ١٦٩٢م وأقام بها نحو ستة عشر سنة درس في أثائها
حال البلاد جيداً وشرحها شرعاً كافياً في كتاب وضعه باللغة الفرنسية وقد تعلم
اللغة العربية خصيصاً لكي يتمكن منأخذ الأخبار من مصادرها.

(ب) عدد سكان القطر

قال هذا العلامة في كتابه أن عدد سكان القاهرة كان يبلغ نحو خمسة الف نفس وقدر عدد سكان القطر المصري كله من ابريم إلى الاسكندرية بنحو أربعة ملايين.

(ج) مركز الأقباط ورفضهم كل ما يغاير عقيدتهم

وقال عن الأقباط أنهم أقل جهلاً وغشومة من غيرهم ولكنه نسب إليهم العناد وصلابة الرأي وعدم التحول بما يحسبه غيرهم هرطقة أو مخالفة.

وقال أن المرسلين اللاتينيين مع ما كانوا عليه من المهارة والجذارة لم يستطيعوا أن يجدوا إليهم واحداً منهم رغم طول مدة بقائهم بينهم وعمل كل ما في وسعهم عمله لإقناعهم. ولكنه في الوقت ذاته لم ينكر على الأقباط احترامهم لهؤلاء المرسلين واكرامهم وتعزيزهم وشكرهم على عنائهم.

وقال أيضاً أنه لما لم يستطع المرسلون الكاثوليك اجتذاب القبط إليهم بالاقناع ارتأوا تببير حيلة بأن صاروا يوزعون صدقات نقدية على كل من يحضر منهم إلى كنيستهم فصادفت هذه الحيلة نجاحاً عظيماً في أول الأمر. وصار يحضر إليها جموع غفيرة من الفقراء. ولكن لما تغير رئيس الدبر الذي دبر هذه الطريقة بآخر ولغو الإحسان والتصديق بهذه الكيفية لعدم ملائمتها انقطع القبط ولم يعد أحد منهم يقرب من كنيسة الفرنج.

(د) امتناع القبط من السفر إلى فرنسا للتعليم

ومع أن المسيو ميليه شهد للقطط بكونهم أكثر دراية ومعرفة وأعظم اقبالاً واستعداداً للتعليم من غيرهم غير أنه لم يقدر أن يكظم غيظه من جهتهم بأن رمادهم بالعناد وصلابة الرأي. وما هذا إلا لأن ملك فرنسا المسمى لويس الرابع عشر طلب منه أن ينتخب من بين الأقباط ثلاثة شبان أذكياء من عائلات طيبة وبيادر بارسالهم إلى فرنسا ليترروا ويتعلموا في مدارسها على نفقة الحكومة الفرنسية فلم يجد بين الأغنياء حتى ولا الفقراء من يرضي بذلك. وكان المرسلون اللاتينيون قد فتحوا مدارس لتعليم الشبان فبمجرد اشاعة هذا الخبر منع الأقباط أولادهم عنها فأصبحت خاوية خالية.

(ه) أسباب امتناع القبط من قبول الدعوة

ان امتناع الأقباط عن اجابة هذه الدعوى كان سببه نشاط الكاثوليك لاجتذاب القبط إلى مذهبهم فلم يوافق القبط على إرسال أولادهم خشية الفتنة وبندر روح التحصب لكتلته في نفوسهم ولذلك فضل الأقباط رفض هذا الطلب من كثيرون إلى صغيرهم ومن غنيهم إلى فقيرهم محافظة منهم على اعتقاداتهم التي ورثوها عن أبيائهم وليس عن شيء آخر.

(و) استشهاد قسيس فرنسي

ومن الحوادث التي حصلت في أيام هذا الفنصل أنه كان بدار الفنصلية الفرنسية قسيس يسمى كلمنت ريكولييه اتهمه بعض الفرنسيين الفاطنين في القاهرة بالخيانة أنه يبيّد أموال الكنيسة المخصصة للإحسانات فخاف القسيس وفر هارباً إلى الوالي في القلعة وطلب إليه أن يقبل إسلامه وكان ذلك في يوم ٢٣ أبريل سنة ١٧٠٣م وفي اليوم التالي أرسل إليه الفنصل مستحلفاً ليأه بمم يبعد أن يعود قبل فوات الفرصة وادعأ إياه أن يقتاصص الذين افتروا عليه بهذه التهمة وإذا سأله أحد يقول أنه كان سكراناً فقد الصواب ولم يتع ما قال وبهذه الوسيلة يخلص من يد الوالي ولكن كان الخوف متمنكاً منه فلم يطبع الفنصل فيما أشاع عليه به. ولما حضر بين يدي الوالي بعد يومين وطلب منه تأييد إسلامه على يد الشهود قال إنه نصراني ويعيش نصرانياً وفي يوم ٢٨ من الشهر المذكور ختنوه بالرغم عنه وقدموا له ثياباً وعمامة فلبس الثياب والقى العمامة على الأرض فضريوه ضرباً مبرحاً حتى كانت روحه تفارقه وزوجه في السجن وبقي فيه أياماً.

وبينما كان الفنصل يسعى لدى الوالي في خلاصه وإطلاق سبيله وصله كتاب منه يطلب فيه أن يتركه ليكفر بما حصل منه وبينما إكليل الشهادة.

وفي اليوم السابع عشر من شهر مايو من السنة المذكورة الموافق يوم عيد الصعود ضرب عنق القسيس على مشهد من الناس وسلموا جنته للفنصل فأخذها ونفتها في مدافن الأقباط بدير الخندق.

وقد كان لهذه الحادثة المؤلمة تأثير شديد عند القبط والروم حتى أنهم عزوا الفنصل على موته لأن صاموا وصلوا الله ثلاثة أيام متالية ليقبل روح القسيس في نعيمه الدائم.

(ز) اعادة مساعى الكاثوليك فى نشر المذهب فى الحبشة

ولما رأى اللاتينيون عدم نجاح مساعيهم فى مصر حولوا تفاتهم مرة أخرى إلى الحبش. فأشار قوسس اليسوعيين على لويس الرابع عشر ملك فرنسا أن يرسل إليها عن طريق السودان طبيباً يسمى دورول ليبر بحسن سياسته مع ملوكها تمهيد الطريق لهم في قبولهم بيلاده.

وكان مع دورول ترجمان سورى يسمى الياس. فلما وصل إلى سنار قبض عليهما الحاكم وحجزهما وبعد ذلك صرخ للترجمان أن يذهب إلى الملك ويستأنس منه عن دخولهما بلاده ويحضر منه أمراً بما يريد وأبقى دورول عنده كرهينة حتى يعود.

وبعد أيام عاد الياس الترجمان ومعه مكتوب من الملك هذا تعرييه حرفاً بحرف.

نص ترجمة خطاب ملك ملوك الحبشة

هذا كتاب من الملك المعظم الأمبراطور المفخم سيد جميع الأمم. ظل الله على الأرض أشهر الملوك المتنبئين بالدين المسيحى. أقوى ملوك النصارى حامي الإيمان الذى تحت حمايته حدود الاسكندرية القابض على رأيه العدل القاضى بالإنصاف بين المسلم والنصرانى. الذى هو من نسل داود وسلامان النبيين العظيمين:

"السلطان تكلا هيمانوت ابن السلطان آدم سعيد بن السلطان أولاف سعيد" لازال مباركاً وملكه مؤيداً بقوة جيشه الظاهر.

إلى العالم الشهير المبجل دورول الفرنساوى السورى الآتى إلينا بقلبه وشخصه حفظه الله من كل شر ورفع مقامه أمين.

لقد وصل إلى بلادنا الملوكى الياس ترجمانك الذى أرسلته إلينا من قبل أخيها ملك فرنسا لكن صار حجزك بسنار وعليه فقد كتبت إلى السلطان بادى أن لا يمنعك ويسمح لك بالحضور. وإن لا يهينك بل يعاملك بالاكرام والتجليل أنت وجميع الذين معك لما بيننا وبينكم من الرابطة الدينية والإيمان الواحد مثل الياس السورى رسولك وكذلك جميع الآتين معك اللهم أن يكونوا تجاراً أو سفراء من قبل أخيها ملك فرنسا أو وكيله بمصر.

وهكذا تكون معاملته لجميع المرتبطين بالإيمان الذين تجمعنا وإياهم الجامعة الدينية الواحدة. لأننا نحب أن تكون مرتبطين برباط المحبة والاتحاد والالفة من الجميع ماعدا الذين يخالفونا في الاعتقاد والناموس مثل يوسف "الراهب اليسوعي" وجماعته الذين طريناهم من بيننا فأننا لا نسمح لهم بالدخول في بلادنا لأنهم يتبررون الخواطر ويزرعون الشفاق بيننا.

أما أنت فقد صرحتنا لك بالمجيء إلينا ولنك من الكرام والاحسان إلا أن السلطان في سنار داخله ريب من جهة دورول وبعد أن حجزه عنده ثلاثة أشهر قتله (تاريخ الأمة القبطية ص ٢٥٥ إلى ٢٦١).

أما ملك الحبشة تكلا هيمانوت الوارد منه هذا الخطاب فقد تولى الملك على الحبشة من سنة ١٧٠٦ ميلادية إلى ٣٠ يوليه سنة ١٧٠٨م وتولى بعده الملك ثاؤفليس سرار سجاد (كتاب تاريخ وجداول البطاركة ص ١٠٤).

٢٤. انتقال البابا يوانس إلى الأحضان السمائية

ولقد حدث في سنة ٤٣٤ أش الموافق سنة ١٧١٨م وباء شديداً حل بالبلاد ومات من جرائه خلق عظيم كثير العدد. وفي أثناء ذلك مرض البابا قليلاً من فرط حزنه على حوادث هذا الوباء الذي لم يرحم صغيراً ولا كبيراً وانتقل إلى الأحضان الربانية في شيخوخة صالحة متمناً رسالته الرسولية حائزًا على رضا الجميع مستقبلاً سعادة الدارين في اليوم العاشر من شهر بؤونة سنة ٤٣٤ أش الموافق ١٥ يونيو سنة ١٧١٨م.

وكان هذا اليوم حداداً عاماً شاملًا لجميع الناس وقام الأساقفة والكهنة والأراخنة والشعب المسيحي وسائر الطوائف الأخرى بالاحتفال بجنازته حاملين جسد الظاهر بكرامة عظيمة. ثم قاموا بتجنيزه وبنفسه في مقبرة الآباء البطاركة بكنيسة القديس العظيم مرقوريوس أبي سيفين بمصر القديمة بعد أن أقام على الكرسي البطريركي مدة اثنين وأربعين سنة وثلاثة أشهر وقد كان انتقاله في مدة حكم السلطان العثماني أحمد الثالث.

وقد لحق بهذا البابا القديس ابنه المحبوب الرجل الورع والمحسن الكبير المعلم جرجس أبو منصور الطوخي بعد انتقاله بعشرة أيام (كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٠٢ وسنكسار دير أنطونيوس).

فهرست

صفحة

١	تصدير
٢	مقدمة الطبعة الثانية
٤	مصادر الكتاب
٦	البابا غريمال الخامس البطريرك (٨٨)
٦	نبوة البابا متأوس عن خليفته
٦	تحقيق نبوة البابا متأوس الأول
٦	البطريرك غريمال الخامس
٦	فراغ خزانة البطريركية
٦	رسامة بطريرك انطاكى فى مصر
٧	بساطة معيشة البابا غريمال
٧	تكليف البابا بمنع الاحباش من مضائقه التجار المسلمين
٨	قيامه باصلاح ما أفسدته يد الاضطهاد
٨	مؤلفات البابا غريمال الخامس
٨	انتقال البابا من هذا العالم
٨	البابا يوانس الحادى عشر البطريرك (٨٩)
٩	مقدمة التاريخ
٩	اختيارة للبطريركية
٩	أهم حوادث البلاد فى عهده
٩	أهم حوادث البيعة وأخبارها
١٠	أ- زياره بطريرك انطاكية لبطريرك الإسكندرية
١٠	ب- طبخ المironون المقس لكرسى الانطاكي
١١	ج- عادة القبط فى أول الصيف
١١	د- الكشف على كنائس النصارى واليهود
١٢	هـ- سعى ملوك الأفرنج وامبراطور لقسطنطينية لاتحاد الكنائس
١٢	وـ- اضطهاد النصارى واليهود
١٣	زـ- مجلس جامع للمسلمين والنصارى واليهود
١٥	

صفحة

١٥	بعثة حشية في مصر	٤
١٦	أ- نص كتاب النجاشي ملك الحبشة الصادر لملك مصر	
٢٠	ب- نتائج البعثة الحشية وأثرها في مصر وأثيوبيا	
٢٠	ج- بعثة مصر لأثيوبيا وهدايا ملك مصر لملك الحبشة	
٢٠	د- كتاب سلطان مصر للنجاشي	
٢١	ه- وصول البعثة المصرية	
٢١	و- وصول أخبار البعثة المصرية إلى مصر واضطهاد النصارى بسبها	
٢١	ز- عودة البعثة المصرية من الحبشة مع قاصد حبشي	
٢٢	ح- منع بطريرك الأقباط من الاتصال بالأقباط دون وساطة الدولة	
٢٢	واقعة بين المماليك والنصارى	٥
٢٢	حوادث خاصة بكنائس الطور في سيناء	٦
٢٥	كنائس الملكية في مصر	٧
٢٧	تصرفات الشيخ النعمانى القاضى الشافعى مع النصارى واليهود	٨
٢٧	ذكر بعض مشاهير الأقباط والنصارى	٩
	الذين تركوا النصرانية جبا فى الظهور	
٢٨	مشاهير رجال الكنيسة فى ذلك العصر	١٠
٢٨	مراسيم خاصة بمعاملة النصارى واليهود	١١
٢٩	حوادث وأخبار مختلفة	١٢
٣٠	زيارة للبابا يوحنا الحادى عشر	١٣
٣١	حضور بعثة حشية بعد وفاة بطريرك	١٤
٣٢	البابا متاؤس الثاني البطريرك (١٩٠٠)	
٣٢	موطنها الأصلى ورثبتها	١
٣٢	اختياره للبطريرية	٢
٣٢	رسامته بطريركا	٣
٣٢	حضور بعثة حشية إلى مصر	٤
٣٢	اقامتها في كنيسة العذراء بحارة زويله	٥
٣٣	وفاة السلطان فخر الدين عثمان	٦
٣٣	عمل العبرون المقدس	٧
٣٤	زيارة للبابا متاؤس الثاني	٨

صفحة

٣٤	البابا غريغوريوس السادس البطريرك (٩١)	
٣٤	موطنه ورثبنته	١
٣٤	اختياره للبطريرية	٢
٣٤	مدة اقامته على الكرسي	٣
٣٥	تاريخ نياحته ومحل دفنه	٤
٣٥	مدة خلو الكرسي بعده	٥
٣٥	مشاهير الرجال في هذا العصر	٦
٣٥	البابا ميخائيل الرابع البطريرك (٩٢)	
٣٥	موطنه وعائلته ودير رثبنته	١
٣٥	اختياره للبطريرية	٢
٣٦	مدة توليه الكرسي البطريركي	٣
٣٦	البابا يوحنا الثاني عشر البطريرك (٩٣)	
٣٦	اختياره للبطريرية	١
٣٦	مدة رئاسته	٢
٣٦	نياحة البابا يوحنا الثاني عشر	٣
٣٧	البابا يوانس الثالث عشر البطريرك (٩٤)	
٣٧	اختياره للبطريرية	١
٣٧	رسامة الراهب يوحنا بن المصري بطريركا	٢
٣٧	علمه واحساناته	٣
٣٧	العلاقات مع الحبشة في عهده	٤
٣٨	احضار جسد القديس مرقوريوس أبي سيفين إلى بيته بمصر	٥
٣٨	اسقفية جزيرة قبرص القبطية	٦
٣٨	ورود بعثة حبشية لزيارة بيت المقدس	٧
٣٩	استيلاء الدولة العثمانية على الديار المصرية	٨
٣٩	آخر أيام البابا يوانس	٩
٤٠	القديس صليب الشهيد في عهد البابا يوانس الثالث عشر	١٠
	أبرشية الخمس المدن الغربية في أوائل الجيل السادس عشر	
٤٣	أحوال القبط في الجيل الخامس عشر الميلادي	
٤٣	موجز تاريخى لسلطانين مصر فى هذا الجيل	١
٤٥	حالة القبط فى عهد دولة الملائكة الشراكسة	٢

صفحة

٤٩

٤٩

٤٩

٤٩

٤٩

٥٠

٥١

٥١

٥١

٥٣

٥٣

٥٣

٥٣

٥٤

٥٤

٥٤

٥٦

٥٦

٥٧

٥٧

٥٧

٥٧

٥٧

٥٨

٥٨

٥٨

٥٨

٥٩

٥٩

٦٠

البابا غريال السابع البطريرك (٩٥)

١ عائلته وموطنه ور هبنته

٢ اختياره للبطيريركية

٣ إقامة البابا غريال السابع بطريركًا

٤ أعماله مدة البطيريركية

٥ عودة أثيوبيا إلى أحضان الكنيسة المرقسية

٦ تحويل نظر بابا روميه إلى ضم أقباط مصر

٧ مدة إقامته على الكرسي الرسولي

٨ نياحته وتخليد ذكراه بكنيسة القديس أنطونيوس

البابا يوأنس الرابع عشر البطريرك (٩٦)

١ موطنها ور هبنته

٢ اختياره للبطيريركية

٣ رسامته بطريركًا

٤ أعماله

٥ الزام النصارى واليهود باستعمال زى خاص على الرأس

٦ تمييز ولاة مصر بين الروم ونصارى مصر

٧ تجديد المساعى لضم الكنيسة القبطية

٨ دفن البابا يوأنس في بrama

٩ استشهاد الراهب القديس يوحنا القليوبى

١٠ المسيحية في بلاد النوبة

البابا غريال الثامن البطريرك (٩٧)

١ ر هبنته

٢ اختياره للبطيريركية

٣ إقامة البطريرك بحاره زويله

٤ الحوادث السياسية في عهده

٥ عودة سعي بابا روميه لضم الكنيسة القبطية

٦ معاكسة رومة للكنيسة القبطية في إثيوبيا

٧ عزل البابا غريال من كرسيه وعودته

٨ تعديل الأصولام

٩ زيارة البابا غريال للأديرة البحرية ونياحتة هناك

صفحة

٦٠	البابا مرقس الخامس البطريرك (٩٨)
٦٠	موطنه ورثبنته
٦٠	اختياره للبطيريكية
٦٠	رسامته بطريركا
٦١	اشتهره بالعلم
٦١	حال الأمة القبطية في الجيل السابع عشر
٦١	زيارة البابا للقدس الشريف وعانته بأملاك القبط
٦٢	ثورة أقباط الوجه البحري ضد البابا وعزله
٦٢	الأسباب الحقيقة للثورة كما شرحها علماء التاريخ
٦٢	عودة البابا مرقس ونفي البطيريك الدخиль
٦٣	زيارة البابا مرقس لصعيد مصر
٦٣	استمرار دسائس الكاثوليك في إثيوبيا
٦٤	انقال البابا من العالم
٦٤	البابا يوأنس الخامس عشر البطريرك (٩٩)
٦٤	موطنه ورثبنته
٦٤	اختياره للبطيريكية
٦٥	عدالة قضائه
٦٥	أخلاقه
٦٥	حدوث الوباء في عهده
٦٥	مطارنة إثيوبيا في عهد البابا يوأنس
٦٦	آخر أيامه
٦٦	نهاية البابا
٦٦	البابا متأوس الثالث البطريرك (١٠٠)
٦٦	عائلته وموطنه
٦٧	تربيته ورثبنته
٦٧	اختياره للبطيريكية
٦٧	رسامته
٦٨	اضطهاد الوالي للبابا بسبب رسوم الولاية
٦٨	وقوع غلاء عظيم في البلاد
٦٩	الرخاء بعد الغلاء
٦٩	ارسل اثنى عشر ألف قنطار من النحاس لسكها نقوداً

صفحة

٧٠	حوادث الكاثوليك في بلاد الحبشة	٩
٧١	صدى حوادث كاثوليك الحبشة في مصر	١٠
٧١	رحلة البابا متاؤس الثالث إلى الوجه البحري	١١
٧١	دخول البابا في طوخ النصارى بلده واقامته بها	١٢
٧٢	نهاية البابا	١٣
٧٢	مدة اقامته على الكرسي	١٤
٧٣	تصويب مدة رئاسة هذا البابا	١٥
٧٣	البابا مرقس السادس البطريرك (١٠١)	
٧٣	وطنه ونشأته ورهبنته	١
٧٣	اختيارة للبطيريركية	٢
٧٤	رسامته بطريركا	٣
٧٤	مقاطعة المعلم بشاره للبابا مرقس	٤
٧٤	منع الرهبان من التجول في البلاد	٥
٧٥	حلة البابا في الصعيد	٦
٧٥	اضطهاد الدولة للنصارى	٧
٧٥	ترتيب عوائد ديارية لأنبا أنطونيوس	٨
٧٥	عودة البابا من الصعيد	٩
٧٥	تشييد قاعة للصلوة في كنيسة العذراء بحارة زويله	
٧٦	عنور البابا على أواني ملأى بالميرون في حارة زويله	١٠
٧٦	مشاهير الرجال في عصره	١١
٧٦	نهاية البابا مرقس	١٢
٧٧	حوادث البلاد بعد نهاية البابا مرقس	١٣
٧٨	البابا متاؤس الرابع البطريرك (١٠٢)	
٧٨	مقدمة	١
٧٨	اختيارات من يقيمه بطريركا	٢
٧٨	ترشيح اثنين للبطيريركية	٣
٧٨	عائلة القمحسر جرجس البرموسى الملقب بالميرى	٤
٧٩	الخلاف على اختيار البطيريرك	٥
٨٠	رسامة القدس جرجس بطريركا	٦
٨٠	البابا متاؤس الرابع البطيريرك	٧
٨١	أخلاقه وتواضعه مدة رئاسته وأعماله	٨

صفحة

٨١	حدث حريق جهة حارة زويله	٩
٨١	انتشار وباء عظيم	١٠
٨١	نقل الكرسي البطريركى إلى حارة الروم	١١
٨٢	الكنيسة الحبشية	١٢
٨٢	حوادث هامة في الكنيسة القبطية الارثوذكسية في عصر البابا متاؤس الرابع للعلامة الآب فانسليب الدومينيكانى	١٣
٨٢	أ- قيد حرية البابا متاؤس الرابع	
٨٣	ب- اضطهاد الآتراك للمسيحيين في عهده	
٨٣	ج- فرضية الضرائب على المسيحيين في هذا العصر	
٨٥	د- المعجزة التي حدثت لايقونة رئيس الملائكة ميخائيل	
٨٦	ه- وصف الأديرة البحرية	
٨٧	و- أخبار الفيوم ومطرانها القديس ميخائيل العالم الجليل	
٨٨	ز- تبر الخشاب بمديرية الفيوم ومدينة أبي الآباء يعقوب	
٨٩	ح- تبر القديسة دميانة في البراري في سنة ١٦٧٢	
٩٠	فشل المؤامرات الشيطانية أمام وداعه وتقوى البابا متاؤس	
٩١	آخر أيام البابا متاؤس	
٩١	اللغة القبطية في الجيلين السادس عشر والسابع عشر للميلاد	
٩٢	البابا يوانس السادس عشر البطريرك (١٠٣)	
٩٢	موطنه ونشأته ورثنته	١
٩٣	اختيارة بطريركا	٢
٩٤	زيارات للبابا للإقليم القبلي والبحرية	٣
٩٤	اشتداد الغلاء في البلاد	٤
٩٤	اضطهاد النصارى واليهود بشتى الوسائل	٥
٩٤	ناظر الكنائس في القاهرة	٦
٩٦	تعمير القلالية البطريركية بحاره الروم	٧
٩٦	تعمير محلات القمن الشريف	٨
٩٦	شرقي النيل وسنون الغلاء والفناء	٩
٩٨	وقوع الاضطهاد على البيعة المقدسة	١٠
٩٩	عزل الوالى محمد فره محمد باشا	١١
٩٩	صنع لميرتون المقدس	١٢

صفحة

١٠٠	زيارة البابا لندير أربا أنطونيوس	١٣
١٠١	تعمير دير القديس الأنبا بولا أبو السواح	١٤
١٠٣	عدم وفاء النيل واعجوبة فيضانه	١٥
١٠٥	الحوادث العامة مدة رئاسته	١٦
١٠٦	زيارة البابا للقدس الشريف	١٧
١٠٨	الثورة في ولاية خليل باشا	١٨
١٠٩	توقف الله في أعمال البابا	١٩
١٠٩	حوادث أخرى هامة	٢٠
١١٠	ترتيب للخيرية المقدسة	٢١
١١٠	مركز البابا بين سائر الطوائف	٢٢
١١٠	وصف حال الأقباط في الجيل السابع عشر	٢٣
١١٠	الميلادي وفشل سعي الكاثوليك في مصر والحبشة	
١١٠	أ- المقدمة	
١١١	ب- عدد سكان القطر	
١١١	ج- مركز الأقباط ورفضهم كل ما يغاير عقيدتهم	
١١١	د- امتناع القبط من السفر إلى فرنسا للتعليم	
١١٢	ه- أسباب امتناع القبط من قبول الدعوة	
١١٢	و- استشهاد قسيس فرنسي	
١١٣	ز- إعادة مساعي الكاثوليك في نشر المذهب في الحبشة	
١١٣	نص ترجمة خطاب ملك ملوك الحبشة	
١١٤	٢٤ انقال البابا يوانس إلى الأحضان السماوية	
١١٥	الفهرس	